جامعة بيرزيت
المكتبة
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

# الكاتب ١٠٠

للثقافة الانسانية والتقدم

ـــدد المائـــة
آب ١٩٨٨

* مائة شهر ومائة عدد في مسيرة الكاتب.
* محطات - محطات - محطات.
* محاولة في بحث آلية التغير الاقتصادي في المناطق المحتلة.
* الاثار النفسية - الاجتماعية للانتفاضة داخل المجتمعين الفلسطيني والاسرائيلي.
* المشاركة الشعبية في الثورة النيكاراغوية.
* مقارنة في "المثقافة" و"التبعية" - الاحساس بالعالم والتلذذ بالتبعية.

## ثلاثة اسئلة عن الانتفاضة في لقاء سريع مع بشير البرغوثي

Digitized by Birzeit University Library

- خاص بـ"الكاتب" - بمناسبة صدور العدد المائة

Digitized by Birzeit University Library

100

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

| | محليا | اوروبا | بلدان أخرى |
|---|---|---|---|
| للأفراد | ٢٥ | ٤٠ | ٥٠ |
| للمؤسسات | ٥٠ | ١٠٠ | ١٥٠ |

العدد (١٠٠) آب ١٩٨٨ - السنة التاسعة NO(100),AUGUST 1988

Digitized by Birzeit University Library

## كلمة العدد:


| | | |
|---|---|---|
| ٤ | مائة شهر ومائة عدد في مسيرة الكاتب | الكاتب |


## سياسة:


| | | |
|---|---|---|
| ٦ | ثلاثة اسئلة عن الانتفاضة<br>في لقاء سريع مع الاستاذ بشير البرغوثي | |
| ١٣ | قائمة بأسماء شهداء الشهر الثامن للانتفاضة | الكاتب |
| ١٥ | محطات - محطات - محطات | ابو وديدة |
| ٣٢ | مذكرة من عضوي الكنيست توفيق زياد وتوفيق طوبي<br>الى الرأي العام الاسرائيلي والعالمي<br>حول معتقل انصار (٣). | |


## اقتصاد:


| | | |
|---|---|---|
| ٣٩ | محاولة في بحث آلية التغير الاقتصادي<br>في المناطق المحتلة. | د.سمير عبدالله |


## متفرقات:


| | | |
|---|---|---|
| ٥٩ | الاثار النفسية - الاجتماعية للانتفاضة<br>داخل المجتمعين الفلسطيني والاسرائيلي. | د.يوسف ابو سمر |
| ٦٣ | المشاركة الشعبية في الثورة النيكاراغوية | ترجمة وتلخيص<br>زياد عبدالله |


Digitized by Birzeit University Library

الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير.

## ثقافة:


| | | |
|---|---|---|
| ٦٧ | مقارنة في "المثقافة" - و"التبعية": الاحساس بالعالم .. والتلذذ بالتبعية | عز الدين المناصرة |


## قصة:


| | | |
|---|---|---|
| ٨٧ | يوم | سامي الكيلاني |


## شعر:


| | | |
|---|---|---|
| ٩٠ | عرس | ماجد أبو غوش |
| ٩١ | اين انتم | باسم النادي |
| ٩٢ | الحنظل في فمك | خايمي ساباينس ترجمة د.محمد عبدالله الجعيدي |
| ٩٤ | اصداء ثقافية | |


Digitized by Birzeit University Library

كلمة العدد

# مائة شهر ومائة عدد في مسيرة الكاتب

بين العدد الاول ، والمائة ، من اعداد الكاتب ، شوط طويل ، قطعته المجلة ، مدعومة اولا واخيرا بجمهور قرائها ، وجمهور الكتاب والمثقفين الفلسطينيين وبعض الكتاب العرب الذين اسهموا بنشاط عبر مقالاتهم وابحاثهم ودراساتهم ، في دفع المجلة نحو مطمحها في ان تكون منبرا معبرا عن الثقافة الانسانية والتقدم ، وعن زبدة اسهامات الفكر الثقافي الفلسطيني الوطني - الديمقراطي .

ولولا هذا الدعم اللامحدود ، والذي اسهم فيه ايضا ، جنود مجهولون كثيرون ، وقفوا مع المجلة في احلك الظروف ، تبنوا توزيعها ونشرها رغم كل العراقيل التي فرضت عليها ، وعملوا متطوعين في الكتابة اليها ، والتحرير ، والمونتاج فيها ، وزادوا اعداد مشتركيها ونظموا لاجلها الحملات المالية ، التي اخرجتها من اكثر من ضائقة مالية ، لولا كل هذا الدعم لما امكن للمجلة ان تقطع هذا الشوط الطويل على مدار حوالي مائة شهر ، وان ترسخ بذلك الاساس المتين لاستمرارها وتطورها اللاحق .

غير ان الامر الابرز في هذه المسيرة ، هو ترسخ القناعة لدى "الكاتب" ، بالدور الهام الذي تلعبه لمثقفيها من خلال الدراسات والمقالات والمداخلات ، التي تبحث في قضايا العديدة التي تزخر بها ساحتنا الوطنية ، والحاجة الى تحليل المعطيات والارقام وفق المنهج العلمي الملتزم ، كي تكون بذلك رأيا بديلا للمنطق الاستسلامي الذي استخدمه ويستخدمه العديد من الباحثين العرب والاسرائيليين لتفسير المعطيات القائمة في بلادنا ، واذا كان من حق الكاتب ان تسجل لنفسها صحة تقديرها لاهمية بعض المواضيع التي عالجتها ،



Digitized by Birzeit University Library

فهي تسجل فهمها لمضمون خطط التنمية ، الاردنية ، والاميركية ، في المناطق المحتلة ، ودور المؤسسات الاميركية العاملة في الضفة والقطاع ومعالجاتها لموضوعة الاقتصاد البيتي التي تستأثر باهمية استثنائية هذه الايام ، كذلك في الدفاع بثبات عن قضايا الطبقة العاملة وفضح اساليب استغلالها ، اضافة الى عشرات الدراسات والمقالات ذات الابعاد المحلية والعربية والدولية .

وبالطبع تدرك "الكاتب" ، ان هناك العديد من النواقص التي ما زالت تلازمها ، منها ما يقع ضمن مسؤوليتها المباشرة ، كتكرار الاخطاء المطبعية ، ونشر بعض المواضيع الطويلة المتخصصة ، التي قد تثقل على القارىء ، وغير ذلك من الملاحظات التي يستمع اليها مجلس التحرير بعناية شديدة ، سواء وردت من خلال الرسائل التي يحفل بها بريد المجلة ، او مشافهة . فان النوع الاخر من النواقص موجود لدى كتابنا ومثقفينا ، الذين يحجمون عن الكتابة في اوقات هي بأمس الحاجة لاسهاماتهم الفكرية والنظرية ، او الذين يضعون حاجزا صلدا بينهم وبين مجلتنا ، دون مبرر .

ويحق لنا بعد تجربة المائة عدد ، ان نتوجه مجددا لهؤلاء بالنداء الذي تكرر على صفحات مجلتنا ، من اجل الاسهام بنشاط اكبر في الحقل الفكري والايديولوجي ، ومن اجل التجرد من المواقف المسبقة ، والخشية غير المبررة من ان تصد المقالات او الدراسات التي يقدمونها طالما كانت ملتزمة بالموقف الوطني ، وبعدم التجريح بالاشخاص او المؤسسات الوطنية المختلفة ، ولنا في التجربة مع العديد من الاقلام التي ظهرت على صفحات الكاتب ، ما يؤكد صحة توجهنا هذا ، واهميته الخاصة في تنمية الانفتاح الفكري ، والتبادل الحي للاراء والافكار ، والتحرر من قيود الجمود والعزلة الفكرية والسياسية الضيقة .

وبعد ، فان الكاتب ، وهي تحتفل بصدور عددها المائة ، فانها تعتز في طابع الفترة التي يصدر بها هذا العدد ، حيث يحقق الفكر الديمقراطي ، والثوري النجاحات تلو النجاحات على صعيد العالم وحركات التحرر وعلى الصعيد المحلي على وجه الخصوص ، مما يرسخ التزامها بالقناعات والمواقف التي تبنتها .

وهي بهذه المناسبة تجدد العهد لقرائها وجمهورها على تحمل مسؤولية مواصلة مسيرتها الشاقة ، كمنبر للثقافة الوطنية التقدمية والانسانية وكمتراس لهذه الثقافة في صراعها مع الفكر الصهيوني والرجعي .



Digitized by Birzeit University Library

# ثلاثة اسئلة عن الانتفاضة

## في لقاء سريع مع الاستاذ بشير البرغوثي

## رئيس تحرير جريدة "الطليعة"

**يسر مجلس تحرير "الكاتب" استضافة الأستاذ بشير البرغوثي على صفحات عددها المئوي ، وكانت رغبة المجلس ان يكون هذا اللقاء شاملا ومتشعبا ، الا ان هذه الرغبة اصطدمت بعقبات عديدة . الامر الذي اضطرنا لتحويل اللقاء الشامل الى لقاء سريع ، واختزاله الى ثلاثة اسئلة عن الانتفاضة الفلسطينية ، تفضل الاستاذ البرغوثي بالاجابة عليها .**

---

الكاتب: كيف تقيمون الانتفاضة الحالية في مسيرة النضال الوطني الفلسطيني؟

---

جواب: أود في البداية ان اسجل شكوى ودية. انكم تطرحون سؤالا كبيرا والاجابة عليه بصورة شافية تقوم امامها عقبات عديدة. منها ان هناك قضايا مرتبطة بهذا السؤال يصعب الاجابة الكاملة عليها لانها من جهة في حالة تبلور مع سير الانتفاضة ، واخرى تتوقف الاجابة عليها على مدى وصحة التفاعل المتبادل بين مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية.

وفي رأيي ان الاشارة الى مسيرة النضال الوطني الفلسطيني باتت تتطلب تحديدات اكثر من السابق . فهناك ، للاسف ، اختلافات جوهرية حول طبيعة واهداف هذا النضال الى حد ان بعض الاطراف المدعومة من بعض الدول العربية تعتبر قرارات الدورة التوحيدية للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر غير مقبولة . والبعض ممن قبل هذه القرارات يفسرها وكأنها امتداد لنفس النهج الذي سبق الدورة التوحيدية.



Digitized by Birzeit University Library

ومن هنا لا بد من القول ، بداية ، ان مسيرة النضال الوطني الفلسطيني ، حسب تعبيركم ، تتطلب الاجابة على سؤال نحو ماذا ، وبأية وسائل ، ومن اي منطلق؟

نحن نقوم الانتفاضة الحالية "في مسيرة النضال الوطني الفلسطيني" من حيث دورها في تنفيذ قرارات الدورة التوحيدية للمجلس الوطني الفلسطيني ، اي من حيث دورها في الدفع باتجاه عقد المؤتمر الدولي الفعال ، باشتراك منظمة التحرير ، ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ، والاقرار بحق شعبنا في العودة وتقرير المصير واقامة دولتهم المستقلة في حدود عام ١٩٦٧.

وفق هذا الاعتبار بالامكان رؤية النتائج الايجابية للانتفاضة على العملية السياسية الجارية وعلى مسيرة النضال الوطني الفلسطيني. لنذكر مؤتمر قمة عمان ، اي قبل شهر من بدء الانتفاضة . كادوا ينسون القضية الفلسطينية . وكادوا يتجاهلون منظمة التحرير. وكانت محاولات انشاء القيادة البديلة قائمة على قدم وساق ، وخطة التنمية المزعومة ولجانها ونوابها المعينون وموظفوها المزدوجون يسرحون ويمرحون ، ومشروع التقاسم الوظيفي يجري تنفيذه في التنسيق بين عمان و "بيت ايل" عند تعيين رؤساء اللجان البلدية ورؤساء لجان التنمية ، وفي تحديد مشاريعها. وكان السفير المصري ، افراز كامب ديفيد ، في تل ابيب ملكا غير متوج في اندية وعلى مادب اشخاص كانوا فيما مضى ضد اتفاقيات كامب ديفيد.

ولم ننس بعد اطروحات النضال بالتكاثر السكاني ، والاشتراك في انتخابات بلدية تيدي كوليك.

كل هذا اين هو الان ؟ لقد كنست الانتفاضة كل تلك الاتجاهات والمشاريع. واعادت القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الى المكان اللائق بهما. واعتقد انه ما من فترة تجمعت فيها كل العوامل الملائمة لنضال الشعب الفلسطيني مثلما هي الان في ظل الانتفاضة .

فعلى الصعيد الدولي هناك مناخ عام ملائم يتجلى في التفكير الجديد لمعالجة القضايا الدولية والاقليمية وانجازاته في اتفاقية المواريخ المتوسطة والاقصر مدى ، وفي بروز روح قمة ريكيافيك في العلاقات الدولية الخاصة بافغانستان ، والاتفاق على وقف اطلاق النار على الجبهة الايرانية العراقية ، والاتفاق المبدئي حول ناميبيا ، والتوجه للتفاوض في نيكاراغوا ، وبوادر حل للمشاكل المعلقة في كمبوتشيا.

لقد ادت الانتفاضة في هذا المناخ الملائم الى وضع القضية الفلسطينية في مكان بارز على قائمة الاهتمام الدولي . وكان هذا جليا في قمة موسكو وفي لقاءات شفيرنادزه - شولتز وبولياكوف - ميرفي . مثلما كان جليا في العديد من المواقف واللقاءات الاوروبية الغربية . وحتى في مؤتمر الحزب الديموقراطي الاميركي الذي ناقش لاول مرة في تاريخه وفي جلساته العامة المنقولة نقلا حيا للرأي العام الاميركي القضية الفلسطينية ، واظهرت الاستفتاءات ان نسبة عالية من المندوبين تؤيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

ولا بد من الاشارة الى تصريح ريغان حول "التطلعات السياسية للشعب الفلسطيني" وهو تعبير يستخدم لاول مرة من قبل رئيس اميركي بعد ان كان الحديث الاميركي عن "تحسين نوعية الحياة" في ظل الاحتلال . ولاول مرة يتضمن بيان قمة الدول الرأسمالية الكبرى السبع نصا عن مشكلة الشرق الاوسط وضرورة حلها. وعلينا ان نذكر التراجع الاميركي في ظل الانتفاضة وبتأثير الرأي العام العالمي والدور السوفييتي عن معارضة عقد المؤتمر الدولي ، وعن المحاولات البائسة لاستبعاد الاتحاد السوفييتي.



Digitized by Birzeit University Library

من الممكن الاستطراد في تعداد التطور الايجابي في الاهتمام العالمي بقضية الشعب الفلسطيني. ولكن مقارنة هذه الظواهر التي تحدثت عنها مع ما سبقها من مظاهر سلبية قبل بدء الانتفاضة توضح الدور الهام الذي لعبته الانتفاضة في تفعيل العامل الدولي لصالح قضيتنا الوطنية.

ويمكن القول الشيء نفسه عن تفعيل العامل العربي. ان المسافة الزمنية قصيرة نسبيا بين قمة عمان التي وجدت القضية الفلسطينية صعوبة بالغة في الدخول الى جدول اعمالها . وكانت قرارات تلك القمة بصددها نوعا من "رفع العتب" لا اكثر، وبين قمة الجزائر ، قمة دعم الانتفاضة.

ولكن المسافة السياسية في غاية البعد حيث كانت القمة الاخيرة مكرسة كليا للقضية الفلسطينية ، ونتائجها اكدت المطالب الوطنية الفلسطينية ، وابطلت كافة المراهنات على رفض الانظمة العربية لقيام دولة فلسطينية مستقلة ، وعلى امكانية تمويه او تجاوز مبدأ التمثيل الفلسطيني المستقل في شخص منظمة التحرير.

وفي تقديري ان التأثير السياسي والمعنوي للانتفاضة ، واذهب الى القول والتنظيمي ايضا، كبير وملموس. ومن الخطأ قياسه بنتائج عملية محددة . انه تأثير تعبوي ينشط العملية النضالية الجارية في العالم العربي وخاصة في البلدان الاكثر قربا من الموضوع الفلسطيني . وحملات التبرع ومحاولات التظاهر تضامنا مع الانتفاضة تتجاوز كونها تعبيرا عن التأييد والمشاركة للشعب الفلسطيني الى الاحتجاج على القمع الرسمي للانظمة ، والى ادانة تلك الانظمة وسياساتها.

لقد اعادت الانتفاضة دور الجماهير الى مركز الاعتبار بعد محاولات طمس او تذييل هذا الدور للانظمة ، وترسيخ الانطباع في اذهان الجماهير بأن وسيلة التغيير الوحيدة هي الانقلابات العسكرية ، وان دور الجماهير محدود في تأييد تلك الانقلابات عند وقوعها.

صحيح أن دور الجماهير كان حاسما في اسقاط كل من الشاه والنميري . ولكن في الحالتين جرى التقليل من هذا الدور من خلال مشاركة قطاعات من القوات المسلحة في ايران والسودان في اللحظة الاخيرة لينسب البعض فيما بعد لهذه القوات الدور الحاسم. دور الجماهير هنا يختلف حيث لا توجد منافسة لهذا الدور. ولم تكن مصادفة ان تلجأ بعض وسائل الاعلام العربية الرسمية الى نوع من التعتيم الاعلامي على الانتفاضة بصورة معينة ، اي بالتركيز على الضحايا ونتائج القمع دون الاشارة الى دور الجماهير ومطالبها وشعاراتها واوجه نشاطها.

لا اريد ان استطرد حول هذه المسألة لاسباب تعرفونها وتتعلق بامكانياتكم للنشر. ان تصوير وسائل الاعلام تلك للشعب الفلسطيني كضحية صحيح ولكن من الضروري القول ايضا انه ليس ضحية خانعة . وهذا لا يبرز ، بصورة كافية وموثقة في تلك الوسائل الاعلامية. ولعل من المفيد لتلك القوى العربية التي تبحث عن طرق لتوحيد صفوفها او عن اشكال لوحدة العمل فيما بينها ان تتمعن في تجربة الانتفاضة . في الاراضي المحتلة يعرف الناس ان وحدتهم تمت في الشارع وفي المواجهات . وبقدر ما كان لهذا الطرف او ذاك من وجود في شارع الانتفاضة كان له دور. وهذه حقيقة لم تستطع الادعاءات والنشاطات الاعلامية البعيدة عن هذا الشارع تغييرها او تشويهها. وعلى اساس هذه الحقيقة ترعرعت وحدة العمل واطاراتها ، وتكيف ويتكيف من حاول القفز عليها مع مقتضياتها.

أن من مزايا الانتفاضة انها وضعت الجميع امام مرآة الجماهير . وظهرت من خلالها معادن القوى والهيئات والمؤسسات المختلفة ، بميزاتها ونواقصها . وفصلت الحب عن الزوان ، كما يقال. واخرجت كافة الادعاءات التي كانت تتحدث عن الجماهير بضمير الغائب.



Digitized by Birzeit University Library

ولعل في استخلاص الاستنتاجات الصحيحة ما يفيد تلك الاوساط التي اعتادت على تمجيد النفس والحط من شأن الغير ، وبغير ذلك ستكون خيبة املها كبيرة ، خصوصا وان زمن محاولة "اكل الكعكة والاحتفاظ بها في نفس الوقت" قد ولى الى غير رجعة.

---

**الكاتب: كان التفاعل العربي الرسمي مع الانتفاضة الفلسطينية دون المستوى المطلوب ، ما هو السبب في اعتقادكم؟**

---

جواب: في طبيعة الانتفاضة نفسها. اذا نظرنا اليها شكلا ومضمونا ماذا نجد؟ سمتها الديموقراطية ، طابعها الجماهيري ، مضمونها التحرري المعادي للامبريالية وللاحتلال الصهيوني. بهذه السمات كيف نتوقع "التفاعل العربي الرسمي"؟ في تقديري ان تعبير تفاعل غير دقيق التأييد متوقع من انظمة فيها سمات الانتفاضة ، ولذلك فان تلك الانظمة العربية غير الديموقراطية ، والتي تقمع جماهيرها ، وترتبط بعلاقات تبعية او تواطؤ مع الامبريالية ، وتتطلع الى مشاريعها للتصفية ترى في الانتفاضة مصدر خطر عليها او على سياساتها. وقد عبر عن ذلك شولتز وحسني مبارك حينما اشارا الى الخطر الناجم عن الانتفاضة على بعض النظم العربية.

لقد قطعت الانتفاضة الطريق على المشاريع الاميركية الاسرائيلية للتصفية . وهي مشاريع كانت لها ركائز عربية . واتفاق لندن بين بيرس وحسين كان احد معالم تلك الطريق. كما قضت الانتفاضة على امكانيات كسب نفوذ يذكر لحكام كامب ديفيد في مصر. حيث كانوا يطرحون انفسهم كطرف يمتاز عن الاخرين بانه قادر على التأثير في الموقف الاميركي . وقد رأينا كيف ان الانتفاضة ، وليس حسني مبارك ، هي التي اضطرت شولتز الى التحرك، مع ان الحكام العرب الموالين لاميركا رغم كل توسلاتهم لم يحققوا شيئا. وعلى العكس حاولوا استخدام الانتفاضة للمساومة مع اميركا.

لقد اضعفت الانتفاضة الاهمية الاستراتيجية للانظمة الموالية لاميركا في الحسابات الاميركية . وهذا يشكل ، بطبيعته ، مصدر قلق لهؤلاء الحكام على مستقبلهم . انهم لم يستطيعوا تسليم "البضاعة" التي انتجتها الادارة الاميركية ، وهم يخشون ان يبدأ المنتج الاميركي بالبحث عن مسوق اخر لبضاعته. هذا بالاضافة الى اسباب اخرى تعرضت اليها في السؤال الاول حول تأثير الانتفاضة على الجماهير في تلك الانظمة.

---

**الكاتب: كانت الانتفاضة استفتاء شعبيا واضحا عل كافة المشاريع الاميركية - الاسرائيلية - الرجعية العربية تجاه حل القضية الفلسطينية وقضية الشرق الاوسط. حيث رفضت بصورة قاطعة اتفاق حسين - بيرس والتقاسم الوظيفي ورفضت مشروع شولتز وكافة المشاريع التي تتجاهل حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني واقامة دولة فلسطينية**



Digitized by Birzeit University Library

**مستقلة بقيادة م.ت.ف وبفعل الانتفاضة وتأثيرها جرت تحولات هامة في مواقف الاوساط الرسمية والشعبية لصالح التعاطف مع الشعب الفلسطيني. ولكن وبالرغم من ذلك فما زال حكام اسرائيل بدعم من الادارة الامريكية يرفضون التزحزح عن مواقفهم . فما هو في رأيكم اسباب ذلك؟**

جواب:

صحيح ان حكام اسرائيل ما زالوا يتمسكون بمواقفهم الرسمية المعروفة ، مواقف رفض الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، ورفض الانسحاب الكامل الى حدود الرابع من حزيران عام١٩٦٧، ورفض المؤتمر الدولي الفعال والاعتراف بمنظمة التحرير.

لكن هذا لا يعني انهم محصنون تجاه التطورات السياسية الجارية سواء بفعل الانتفاضة ، او بفعل التطورات الايجابية على الصعيد الدولي ، وضغط الرأي العام العالمي.

علينا ان ننظر لهذه التطورات ضمن عملية سياسية تتجه بصورة ايجابية نحو حل المشاكل والنزاعات الاقليمية . وانعكاساتها على مشكلتنا ، مثل انعكاساتها على اية مشكلة اخرى لا تقاس بالامتار والسنتمرات حتى نستنتج، حسب تعبيركم ، ان الموقف الاسرائيلي لم "يتزحزح"!

ان علينا ان نرى هذه التطورات في الاطار الاشمل ، في اطار العملية الجارية على الصعيد الدولي ، وضمن اسهامات العوامل الاقليمية في تلك العملية . واعتقد ان حكام اسرائيل لا يستطيعون الخروج عن اطار المصالح الاستراتيجية العامة للولايات المتحدة مهما ظهرت بعض جوانب التباين والاعتراض على سياسات ومواقف هذه الادارة الاميركية او تلك ، ومهما كانت الخلافات شديدة بين الليكود وحزب العمل.

ولهذا علينا ان نبحث عن الجواب في المصالح الاستراتيجية العامة للولايات المتحدة في ظل الادراك المتزايد لعدم امكانية الانتصار في حرب نووية ، وبان تطور الاسلحة النووية بات يهدد بافناء العالم ، وبالتالي عدم جدوى سياسة المواجهة مع الاتحاد السوفييتي.

على هذه المعطيات يقوم التفكير الجديد في معالجة القضايا الدولية وفي مقدمتها ، طبعا قضايا نزع السلاح ، والقضايا الاقليمية القابلة لتفجير الوضع الدولي وتعريض السلام العالمي للخطر.

وقد بدأت فعلا ، على هذا الاساس ، مسيرة ايجابية كنت قد اشرت الى عدد من مظاهرها في سؤالكم الاول. مثل اتفاقية تدمير الصواريخ المتوسطة والاقصر مدى ، والتوجه لتخفيض عدد الصواريخ البعيدة المدى الى النصف ، وتخفيض الاسلحة التقليدية الخ. وكذلك معالجة القضايا الاقليمية كما اشرت من قبل .

من الصعب ، بالطبع ، الجزم بصورة مطلقة بأن هذه المسيرة لا يمكن ان تتوقف او تتراجع . ولكن ما امامنا من ظواهر واشارات ومعطيات يشير الى توفر فرص كبيرة لمواصلتها خصوصا وانها تجري بمشاركة الجماهير واطلاعها فيما اصبح يسمى "الديبلوماسية الشعبية"! وعلى اساس هذا يصبح من غير الواقعي الافتراض ان هذه المسيرة ستستمر على الصعيد العالمي والاقليمي ولكنها ستتوقف عند اسوار الرفض الاسرائيلي.

اذا نظرنا لضخامة المهام امام هذه المسيرة ، والجهد الجاري لحلها يصبح بامكاننا ان نرى ان حكام اسرائيل ليسوا سوى "محطة صغيرة" في البعد الاستراتيجي العام لمسيرة التفكير الجديد في العلاقات الدولية . وانهم بالتالي لا يستطيعون وقفها خصوصا اذا ما اخذنا في الاعتبار المكانة



Digitized by Birzeit University Library

الاستراتيجية الكبيرة التي تحتلها هذه المنطقة وبالتالي تأثيرها الكبير على علاقات القوى في المسرح الدولي وفي قضية السلام والامن الدوليين.

علينا ان لا ننسى ان الصراع في هذه المنطقة كاد يؤدي الى حرب نووية في ثلاث مناسبات على الاقل. في اعوام ٥٦ و ٦٧ و ٧٣.

كما علينا ان نشير الى تطورات داخلية في المنطقة ذات مساس بالحسابات الاستراتيجية للولايات المتحدة . حتى ما قبل الانتفاضة ، كان يبدو وكأن الولايات المتحدة توطد مركزها الاستراتيجي في المنطقة من خلال الحرب الايرانية العراقية ، ومن خلال قدرة الانظمة الموالية لها على تمويل النهج اليميني في العالم العربي وتقوية مواقع الطريق الرأسمالي ، واستثمار ذلك سياسيا لاشغال مركز قيادي في الجامعة العربية.

غير ان الانتفاضة احدثت تأثيرات معينة على الحسابات الاميركية . ليس فقط من حيث تأثيرها على الجماهير العربية وبالتالي على "استقرار" الانظمة العربية الموالية لاميركا ، وانما ، ايضا لانها كشفت عن عدم قدرة هذه الانظمة على تنفيذ "الحل الاميركي" للقضية الفلسطينية . وبالتالي اصبح هذا "الحل" امام طريق مسدود بسبب غياب الطرف العربي اللازم لتنفيذه. وبقاء الموقف الاميركي امام هذا الطريق المسدود يفقد الانظمة العربية الموالية لاميركا اية ذريعة لاستمرار سياسة الاعتماد على اميركا ، ويزيد من تعريتها امام شعوبها. وهو امر يحمل في طياته ، اضافة لتأثير الانتفاضة التعبوي على تلك الشعوب عوامل جديدة لاسقاط تلك الانظمة . ومعنى ذلك نشوء مخاطر جدية على المصالح الاستراتيجية الامبريالية لاميركا في المنطقة العربية.

هذا الوضع ضمن اطار تأثير التفكير الجديد في العلاقات الدولية ، يشكل عاملا ضاغطا على الولايات المتحدة لاعادة النظر في حساباتها التقليدية. ان اسرائيل "كنز استراتيجي " للولايات المتحدة كما قال الرئيس ريغان. ولكن ذلك كان في ايام الاطمئنان الى وضع "الكنز الاستراتيجي" الاخر في العالم العربي. غير انه ، في هذه الايام ، بالسمات التي اشرت اليها ، لم يعد مضمونا الاستمرار في سياسة الدعم الكامل للكنز الاسرائيلي والاحتفاظ بكنز الموالين العرب.

واذا كانت اميركا قد وطدت مواقعها بسبب حرب الخليج . فان هذه الحرب قد دفعت انظمة الخليج العربية الى تصعيد تسلحها. وهذا التطور حسم ايضا صعوبة احتفاظ اميركا ببطيختين في يد واحدة . خذوا مثلا صفقة الصواريخ الصينية التي ابتاعتها السعودية وبعد ذلك صفقة الاسلحة بثلاثين بليون دولار بين السعودية وبريطانيا. كانت هذه الصفقة من نصيب الاحتكارات الاميركية لولا معارضة الكونغرس. مراعاة للمعارضة الاسرائيلية . حتى ادارة ريغان عارضت موقف الكونغرس واشتكت مما سببته هذه المعارضة من ضرر على "الاقتصاد الاميركي"! والان يواجهون في واشنطن نفس المعضلة بسبب الطلبيات الكويتية لشراء اسلحة من اميركا.

ان هذا الوضع يشير الى تزايد المصاعب امام اميركا للاحتفاظ بموقف التأييد الكامل للسياسة الاسرائيلية والاستمتاع بالثروات النفطية العربية.

من هنا يجوز القول انه بتضافر العوامل المحلية والعربية والدولية المواتية . وهي عوامل سبق وتحدثت عنها ، بالاضافة الى المعضلة التي تواجهها السياسة الاميركية في المنطقة ، من الممكن التأثير في الموقف الاميركي الى الافضل.

ولعل بعض الظواهر تشير الى هذا الاتجاه. هناك مثلا التراجع عن معارضة المؤتمر الدولي.



Digitized by Birzeit University Library

وهناك نشاط رؤساء المنظمات الصهيونية واليهودية الاميركية الذين اصبحوا يبدون اعتراضات علنية على بعض جوانب السياسة الاسرائيلية الخاصة بالاراضي المحتلة ، بعد ان كانوا يمتنعون عن ذلك في السابق. وهناك جنرالات الاحتياط الاسرائيليين ومجلس الامن والسلام" الذي شكله هؤلاء العسكريون والفرص الاعلامية التي اتيحت لهم في وسائل الاعلام الاميركية . انها جميعا ، في نظري ، محاولات للتأثير السياسي على المؤسسة الحاكمة في اسرائيل . واشارات لها على ضرورة تقبل "الافكار الجديدة" حسب تعبير ريغان في مديحه لشمعون بيرس.

وفي تصوري ان الاعتبارات الاستراتيجية الضاغطة على الموقف الاميركي تجعل نتائج الانتخابات في كل من اميركا واسرائيل غير ذات تأثير حاسم . لان الفائز سيظل محكوما بالاعتبارات الاستراتيجية نفسها.

حتى في داخل اسرائيل علينا ان نرى تأثيرا الانتفاضة . صحيح ان هناك من اصبح اكثر تطرفا باتجاه اليمين . ولكن هناك من اصبح يتحدث بوضوح عن ضرورة قيام دولة فلسطينية . وحتى وقت قريب لم يكن هناك احد من الرسميين يعتبر بوجود مشكلة عاجلة. لكنهم الان يتحدثون عن ضرورة الحل السياسي وعن عدم امكانية العودة الى ما قبل التاسع من كانون عام ١٩٨٧.

ولربما لم تحدث من الناحية الاحصائية ، في الاستفتاءات وغيرها تغييرات على الموقف الاسرائيلي العام ، في الشارع ، بخصوص الانسحاب وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني . ولكن حدثت تغيرات في "النوع" هناك جنرالات سابقون ، واكاديميون ورجال سياسة ، وفنانون باتوا اكثر نشاطا ووضوحا في مطالبتهم بضرورة الانسحاب واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة . وهؤلاء لا بد ان يكون لهم تأثيرهم على الرأي العام الاسرائيلي. هناك نمو كبير ومتعدد لهيئات ومنظمات باسماء مختلفة جميعها تبدي الاعتراض على السياسة الاسرائيلية القائمة او على جوانب اساسية منها.

بالطبع هذه جميعا مظاهر ايجابية . لكن من الخطأ الظن ان هذه العوامل التي تحدثت عنها ستؤدي تلقائيا الى تغير الموقف الاسرائيلي والموقف الاميركي. ان الوحدة والتضامن العربي ضرورية للتأثير في تلك العوامل لصالح تحقيق المطالب العادلة للشعب الفلسطيني، وهذه عملية نضالية لا بديل عن المثابرة عليها.



Digitized by Birzeit University Library

# قائمة بأسماء شهداء الشهر الثامن للانتفاضة

**تدخل الانتفاضة مع صدور هذا العدد ، شهرها التاسع ، وقد بلغ عدد شهداء الشهر الثامن (٢٥) بالاضافة الى مئات الجرحى والمعتقلين ، وبذلك يصل عدد الشهداء خلال ثمانية اشهر الى (٢٩٥) شهيدا. وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر الثامن.**

**الجمعة ٧/٨**

- ابراهيم عبد الرحمن لبد ( ٦٤ عاما) غزة ، استشهد جراء اعتداء الجنود عليه ، مما ادى الى كسر عظمة فخذه الايمن يوم ٦/٣٠.
- عبد القادر قاسم صبابات ( ٢٢ عاما) طوباس ، اصيب برصاصة في البطن .

**السبت ٧/٩**

- عبد الرزاق ابو شميع ( ٥٤ عاما) قرية عبوين / رام الله ، كان نائما سقط من على سطح منزله اثناء اقتحامه من قبل جنود الاحتلال ، وبصره شحيح .
- فايق سليمان حسين ( ٢٥ عاما) مخيم جباليا / قطاع غزة ، اصيب بعيار ناري في الصدر .

**الاحد ٧/١٠**

- زهدي منصور جبر الزريقي (١٧ عاما) مخيم عسكر القديم / نابلس ، اصيب بعدة رصاصات نارية في ساقيه وفخذه حطمت عظامه واصابته بنزيف حاد .

**الاثنين ٧/١١**

- فارس رشيد عنبتاوي ( ١٧ عاما) نابلس ، اصيب برصاصة في صدره .
- حسن احمد حسن جابر عدس ( ١٧ عاما) بلدة عنبتا ، اصيب برصاصة في صدره .

**الاربعاء ٧/١٤**

- امجد الخواجا (١٧ عاما) نابلس ، استشهد متأثرا بجراح اصيب بها ليلة الاحد ٧/١١ .
- سمير السايح ( ١٦ عاما) نابلس ، متأثرا بجراح اصيب بها ليلة الاثنين ٧/١٢ .

**السبت ٧/١٦**

- صابر فارس النمنم ( ٢٣ عاما) مخيم الشاطىء / قطاع غزة ، متأثرا بجراح اصيب بها جراء الضرب المبرح في شهر شباط .

**الاثنين ٧/١٨**

- ادمون الياس عيسى غانم ( ١٧ عاما) بيت ساحور ، استشهد بعد ان سقط على رأسه مباشرة حجر منشار بطول متر من سطح احد المنازل التي يحتلها جنود الاحتلال .
- جمال جودت عبد الكريم القدومي (٢٩ عاما) مخيم عين بيت الماء / نابلس ، متأثرا بجروحه التي اصيب بها خلال احداث مخيم الفارعة في ٧/٨.



Digitized by Birzeit University Library

الثلاثاء ١٩/٧

- نضال فؤاد سليمان الربضي (١٦ عاما) القدس ، استشهد بعد ان اخترقت قلبه رصاصة اطلقتها سوائب المستوطنين في أثناء وجوده على مفترق الضاحية شمال القدس .

الاربعاء ٢٠/٧

- هشام زايد (٢٠ عاما) قرية اكفيريت / جنين ، اصيب برصاصة في رأسه .
- فؤاد عرابي (١٦ عاما) جنين ، متأثرا بجراحه .
- زكي علي محمود الحلايقة (٢٥ عاما) قرية الشيوخ / الخليل ، اصيب برصاصة في صدره .

الخميس ٢١/٧

- مهند احمد ظاهر سيف (١٧ عاما ) قرية عرعرة / المثلث ، استشهد في قرية ذنابه (طولكرم) نتيجة لاصابته برصاصة اخترقت قلبه .

الجمعة ٢٢/٧

- حسام عبد العزيز (٢٠ عاما) نابلس ، اصيب بسبع رصاصات في الصدر .
- ماهر ابو غزالة ( ٢٤ عاما) نابلس ، اصيب بالرصاص في بطنه .

الاحد ٢٤/٧

- جريس يوسف قنقر (٤٠ عاما) بيت جالا ، بالرصاص ، اب لاربعة اطفال .
- ياسر محمد حنون سباعنه ( ١٧ عاما) قباطية / جنين ، اصيب برصاصة في صدره .
- ثائر عدنان بدر ( شهر واحد) مخيم جباليا / قطاع غزة ، من جراء الغاز .

الثلاثاء ٢٦/٧

- سهير فؤاد عفانه (١٣ عاما) مخيم الشاطىء / قطاع غزة ، استشهدت نتيجة اصابتها برصاصة في الحوض .

الخميس ٢٨/٧/١٩٨٨

- هاني عادل الترك (٣٧ عاما) غزة. اصيب بعشر رصاصات في بطنه وفخذه الايمن وساعده الايسر اطلقها مستوطنون يرتدون الزي المدني.
- عبد الفتاح يوسف العليان (٢٤ عاما) قرية دير ابو ضعيف/ جنين ، متأثرا بجراحه التي اصيب بها في ٦/٢٠.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة ، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.



Digitized by Birzeit University Library

# محطـات

# * محطـات *

# محطـات

## مقدمـة

هذه هي المجموعة الرابعة في سلسلة محطات . اعتز بان موضوعاتها كانت موضع اهتمام القراء . بعضهم طالبني بمواصلتها وحتى بزيادة موضوعاتها وحجمها ، واخرون قالوا لو ان بالامكان ترجمتها للعبرية لاطلاع القارىء هناك على ردود هادئة على اقوال ساسة اسرائيل . ورددت انني حين بدأت كتابة هذه السلسلة لم افكر في مخاطبة قارىء او ناطق العبرية ، انما اردتها حوارا هادئا مع ابناء شعبي ، وللفت النظر الى ضرورة مواجهة وتفنيد الادعاءات الاسرائيلية . اي محاولة بسيطة للاسهام في معركة الاعلام الفلسطيني .

اشار عليّ زملاء بتغيير اسم محطات باعتباره عنوانا غير جذاب للقارىء. وهذه وجهة نظر صحيحة ، اختيار العنوان جاء مصادفة، املاه صعوبة كتابة تحليل سياسي متكامل يشق طريقة الى النشر . وهكذا اضطررت لكتابة موضوعات ، هي نوع من وقفات ومناقشة لمقولات يطلقها كبار المسؤولين الاسرائيليين. الموضوعات ، الوقفات ، يربطها ببعض خيط دقيق مثل خط السكة الحديد الذي يربط بين المحطات . ومن هنا كان الاختيار بدون الاهتمام او الانتباه لمسألة جاذبية العنوان.

Digitized by Birzeit University Library

# محطة (١)

## الوثيقة - شامير - والالاعيب

وصف اسحق شامير ، رئيس وزراء اسرائيل ، الوثيقة الفلسطينية التي وزعت في قمة الجزائر ، وصارت تعرف فيما بعد باسم وثيقة بسام ابو شريف ، نسبة لكاتبها ، وصفها شامير بأنها "مجرد لعبة يقومون بها - الفلسطينيون - المحرر - من اجل قلقلة وارباك عدوهم" وانه بسبب ذلك لن يرد عليها بجدية . وفي وصف اخر قال شامير ان الوثيقة غير جدية ، وان الفلسطينيين "يلعبون هذه الالاعيب منذ وقت طويل ، وبهدف احداث تغيير في الرأي العام الغربي ، والاميركي بوجه خاص ، يدفع الى تغيير في السياسة الاميركية". واضاف شامير بلهجة الواثق "لن ينجحوا في ذلك".

والاوصاف السالفة لم تقتصر على شامير ، فقد صدرت عن شمعون بيرس ، وزير الخارجية الاسرائيلي رئيس حزب العمل ، اقوال واوصاف مماثلة . قال ان الوثيقة مجرد مقال ، وما حوته لا يخرج في كثير او قليل عن الميثاق الوطني الفلسطيني ، الذي يدعو الى تدمير اسرائيل "وبسبب ذلك فان اسرائيل ترفضها.

ولم تكن ردود الفعل داخل اسرائيل كلها على هذا النسق . فلقد رأى كتاب ورجال فكر ، ذوو قدرة على استشراف المستقبل ، في هذه الوثيقة منفذا فعليا لطريق الخروج من دائرة الحقد والكراهية ، لاحلال سلام عادل على اساس اقتسام فلسطين بين الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي.

على اي حال ليس ما حوته وثيقة ابو شريف ، هو موضوع هذا المقال . بل ما حوته تصريحات شامير وبيرس وتحديدا مسألتي كسب الرأي العام الغربي والاميركي على وجه الخصوص ، وما اسميناه بالالاعيب الفلسطينية.

قد يكون شامير محقا ، في اظهار مثل هذه الثقة ، بحتمية فشل جهود الدعاية العربية والفلسطينية ، على احداث تحويل ، او حتى تغيير ، في توجهات الرأي العام الاميركي ، ومن ثم الحكومة الاميركية . تحول من التعاطف والتضامن والدعم شبه المطلق مع اسرائيل ، الى الانحياز لجانب العدل والحق ، لجانب الانسانية ، من خلال ابداء تعاطف مع شعب ، عانى ويعاني الظلم والاستغلال والاستعباد القومي، شعب عانى مرارة التشريد ، والحرمان من الهوية الوطنية ، سواء في ذلك من بقي على ارض الوطن ، ومن توزع في بلاد الغربة ، شعب نزلت به مختلف الكوارث على يد الالة العسكرية الاسرائيلية ، وعانى من الالام والعذاب ما لم يعانه شعب اخر في العالم وفي التاريخ الحديث.

شامير يعرف عن يقين ان دماغ المواطن الاميركي ليس صفحة بيضاء ، وانه غير محايد ، لانه كان هدفا لدعاية مركزة، واسعة باشراف جهات متعددة ، وبهدف واحد ، استمرت بضعة عقود ، دعاية ابتزت وتبتز تعاطفه التام مع اسرائيل ، باعتبارها ذحية ، وعبأته وما زالت بالكراهية للعرب عموما والفلسطينيين على وجه الخصوص .

لقد "اجتهدت" وسائل الدعاية العربية ، التابعة منها للجامعة العربية ، ولدولها ، او



Digitized by Birzeit University Library

للفلسطينيين ، في البحث عن اسلوب مناسب للوصول الى قلب وعقل ووجدان المواطن الاميركي ، وحصدت الفشل لان الطريق كان دائما مغلقا.

وتكوّن جراء هذا الفشل المتعاقب والثابت ، ما يشبه القناعة ، عند الجماهير الفلسطينية ، غذتها فصائل وطنية متطرفة فلسطينية وعربية ، بعدم جدوى محاولات كسب الرأي العام الاميركي والغربي. لانحيازه التام لاسرائيل وضدهم. وصارت تطالبه بعدم الالتفات،او ابداء اي اهتمام، لردود الفعل العالمية ازاء هذا الشكل او ذاك ، هذا الاسلوب او ذاك ،من اساليب الكفاح لاستعادة الحق الضائع او بعضه.

والانحياز لصالح اسرائيل في اوساط الرأي العام الاميركي والغربي . لم يحدث بفعل شطارة الدعاية الاسرائيلية والصهيونية فقط ولا بفعل عدم التوفيق ، او سوء وسطحية وضحالة الدعاية العربية والفلسطينية،مادة واسلوبا ووسائل،وانما هناك عوامل كان لها التأثير الحاسم في خلق تعاطف المواطن الاميركي والغربي مع اسرائيل ومن ثم منحها التأييد والتضامن المعبر عنه بأشكال متنوعة من الدعم.

بداية هناك مصالح الاحتكارات الكبرى في نهب الثروات العربية. ومعروف ان موظفي اجهزة الحكم في الولايات المتحدة ، وبلدان غربية ، وبمن فيهم الرئيس ووزراؤه ، تعينهم هذه الاحتكارات وهم اما موظفون سابقون لديها او مساهمون كبار فيها. وقد تحولت مصالح النهب هذه الى ما يسميه البيت الابيض بمصالح الامن القومي الاميركي . وحاجة الادارة الاميركية لاسرائيل في حراسة وحماية هذه المصالح ، بما في ذلك بقاء نظم عربية تابعة حاجة معروفة. وهكذا فان الادارات المتعاقبة في واشنطن ، وكذلك في لندن وباريس وغيرها بذلت جهودا كبيرة عبر وسائل التعبئة المختلفة ، وبينهاوسائل الاعلام والتربية ، والجامعات..الخ ، في تعبئة المواطن الغربي على التعاطف مع اسرائيل باعتبار ذلك مصلحة قومية اميركية او غربية عليا.

والمواطن الاميركي او الغربي العادي ، المتدين ، يعرف الاسماء التوراتية لمواقع متعددة في فلسطين واسماء مثل "يهودا والسامرة" ليست غريبة على مسامعه ،ولذلك فان اقناعه بحق اسرائيل فيها لا يحتاج لجهد كبير. واكثر من ذلك وانطلاقا من خلفية دينية يقبل القول بان الفلسطينيين غرباء وغاصبون لارض الميعاد.

ومن المنطلق الديني ايضا لم تندثر احلام الاوروبيين والاميركيين مع اندثار الصليبيين ، بوضع القبر المقدس ، وكنيسة المهد وغيرها من الاماكن المقدسة المسيحية تحت سلطة غير عربية . ومكاتبات وزارة الخارجية البريطانية مع المندوب السامي البريطاني في الهند ، تشهد وقبل عقد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل بكثير ، على مسعى الدول الاستعمارية لمنع قيام دولة فلسطينية عربية في هذه المنطقة،واقامة دولة اخرى من اصول اوروبية عليها.

وهناك الى جانب هذا وذاك نظرة عنصرية. فالاميركي الابيض وكذلك الاوروبي ، والمقصود غير المسيسين ، يتعاطف بسهولة اكبر مع اناس من لون بشرته. واليهود الاشكنازيم المسيطرون على جهاز الدولة في اسرائيل هم اوروبيون بيض ، وهذا عامل هام في جذب تعاطف البيض العاديين والانحياز لصالح اسرائيل وضد الفلسطينيين.

وفي اسرائيل ديمقراطية من الطراز الغربي. وتحيطها ، وهذا واقع مأساوي ، نظم استبدادية عربية لا تحترم الحريات العامة ، ولا تقيم وزنا للانسان نفسه قبل حقوقه. والديموقراطية فيها تقبع مغلولة في اقبية التعذيب . ان واقعا كهذا ، ونشهد كيف تستغله اسرائيل ، يجعل

Digitized by Birzeit University Library

المواطن الغربي يزن الامور بشكل يجعله ينحاز تلقائيا لصالح بقاء الديموقراطية الاسرائيلية وازدهارها. وفي مواجهة النظم العربية الاستبدادية التي تتقدم اليه في صورة المدافع عن قضيتنا فتسيء لهذه القضية اكثر مما تنفعها.

هناك بعد هذا وذاك الاستغلال الاسرائيلي والصهيوني الذكي جدا للمأساة الكبيرة التي نجمت عن سياسة الابادة الشاملة - الهولوكوست - التي نفذتها النازية الالمانية المجرمة بحق شعوب اوروبا،التي داستها ابان الحرب العالمية الثانية، وبينها اليهود. لقد استطاعت الصهيونية خلق حركة تعاطف هائلة ، تحولت الى قوة مادية ضخمة ، تقول بضرورة ان يكون لليهود وطن آمن، على ارض فلسطين،حتى لا تتكرر المأساة مرة اخرى. ومعروف ان هذه المذابح بالذات هي التي بعثت الحياة في الحركة الصهيونية،وفي الهجرة الى فلسطين،بعد ان ذوت فعلا،وبعد ان كادت القيادة الصهيونية تقبل بوطن لليهود في اوغندا.

وطبعا لا يمكن تجاهل قوة رأس المال اليهودي وتداخله مع الاحتكارات الكبرى الغربية،الامر الذي ربط مصالح اسرائيل القومية،برباط عضوي مع مصالح الامن القومي للولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا وغيرها . اضافة لذلك القوة المحسوسة لرأس المال هذا في السيطرة على وسائل الاعلام الغربية ، وفي الجامعات .. ومعاهد الابحاث وغيرها من المؤسسات وفي اجهزة الحكم والاجهزة التشريعية ..الخ. اننا غالبا ما نسمع كيف لعب راس المال اليهودي هذا العضو او ذاك وهذه المجموعة او تلك في الكونغرس الاميركي وفي مجالس الولايات والمدن الكبرى. ويرى البعض في هذه المسألة كأنها مقطوعة الصلة بوضع الاحتكارات كلها. فالشراكة الاحتكارية للشركات الكبرى تولد في الواقع شراكة في اقتسام الاجهزة الحكومية هذا فضلا عن سهولة الصلة بينها والتأثير المتبادل.

وليست هذه بالتأكيد كل العوامل التي تجعل شامير يبدو بهذه الثقة من عدم قدرة الدعاية الفلسطينية والعربية على احداث تحول في الرأي العام الاميركي والغربي . فلقد اثبتت العقود المنصرمة ، فيما اثبتت ، عدم كفاية الاعتماد على وسائل الدعاية وحدها ، وخصوصا عند الاخذ بالحسبان ما تتمتع به وسائل الدعاية الاسرائيلية من تقدم ، وما تتصف به من ذكاء ، ومهارة غير محدودة على فن الخداع ، وما تتميز به من دهاء ، مقابل التخلف في الوسائل والاساليب والسطحية والتفاهة التي تسم الدعاية العربية وحتى الفلسطينية.

## الحاجة الى الوضوح

من بين الحقائق التي اعادت الانتفاضة اثباتها او البرهنة عليها حقيقة انه لا يمكن الركون الى الوسائل الدعائية وحدها ، وبما في ذلك المحاججة حول الحق التاريخي والقانوني ، والحوار الهادىء في كواليس الديبلوماسية ..الخ لاعادة التوازن الى موقف الرأي العام العالمي والاميركي بشكل خاص او لايقاظ ضميره.

الانتفاضة عادت واكدت ان هذه الوسائل تثمر اذا سايرت وارتكزت الى الفعل الثوري المستند الى اساليب ووسائل مقبولة ومعترف بها عالميا. كما اكد فعل الانتفاضة الثوري ان من الممكن احداث التغيير المطلوب في توجهات الرأي العام. تماما كما كان الحال في فيتنام والجزائر وغيرها.



Digitized by Birzeit University Library

فالانتفاضة بطابعها الديموقراطي العميق فرضت على وسائل الاعلام نقل بعض الحقيقة الى كل ركن وكل بيت في عالمنا مهما كان قصيا. وقدمت بالصوت والصورة للانسان الاميركي والغربي وغيرهم صراعا طرفاه ، فلسطينيون مدنيون عزل من كل سلاح الا سلاح الايمان بعدالة قضيتهم ، يطالبون بالعدل والسلام ، وجنود اسرائيليون مدججون بكل ادوات القمع والقهر يستخدمونها بكل القسوة والوحشية والهمجية التي يتصف بها الفاشيون والعنصريون واضرابهم.

وحتى المتعاطفين مع اسرائيل . والذين لا يرغبون ، ولا يقبلون ، بتغيير موقفهم ، وبفعل ما يرون استكثروا على ربيبتهم ان تكون على هذه الصورة وان تصدر عنها مثل هذه الافعال الوحشية ولذلك اخذوا يطالبونها بالتوقف عن قمع الشعب الفلسطيني . اما المتدين والانسان العادي فان ضميره بدأ ينخزه بعدم جواز مثل هذه الافعال.

ان المطلوب الان فلسطينيا هو استثمار ما يحدثه فعل الانتفاضة في الضمير والعقل والوجدان الغربي. وما احدثه في التحرك السياسي. وهكذا فموضوع مثل وثيقة بسام ابو شريف ليست مسألة الاعيب او مجرد مقال حسب شامير وبيرس . هناك حاجة موضوعية فلسطينية لاستثمار سياسي للوضع العيني الثوري ، لفعل الانتفاضة.

لقد احدثت الانتفاضة انقلابا بانتقال القضية الفلسطينية من وضع الدفاع اثناء التراجع كما كان الامر في اتفاق عمان ، والضغوط التي رافقته واعقبته لتقديم مزيد من التنازلات بما في ذلك التخلي عن الثوابت الفلسطينية ، ثم في مؤتمر قمة الوفاق والاتفاق ، قمة عمان ، التي اعادت القضية الفلسطينية الى موقع ثانوي من الاهتمام العربي ، والهجوم الاميركي - الاسرائيلي لدفع انظمة عربية للتفاوض مع اسرائيل في غياب الفلسطينيين ولتغييب قضيتهم ، كما برز في وثيقة لندن المعروفة باسم اتفاق حسين - بيرس ، نقول انقلاب من وضع الدفاع اثناء التراجع الى وضع جديد يتصف بانه هجومي.. هجوم حقق في سبعة اشهر ما عجز النضال العربي كله عن تحقيقه في اكثر من ٤٠ عاما ، باعتراف جميع الاطراف.

فقد شكلت الانتفاضة عاملا حيويا جديدا في الوضع كله، حرك موازين القوى لصالح القضية الفلسطينية. وكان ان اجبر الادارة الاميركية على الخروج من موقع اللامبالاة والاهمال لقضية الصراع في الشرق الاوسط الى موقع الحركة النشطة الذي جرى التعبير عنه في "مبادرة" وزير خارجيتها شولتز، وجولاته المكوكية في المنطقة. وافشلت الانتفاضة خطته الجديدة في احتوائها واعادة الوضع لما كان عليه ، الى وثيقة حسين - بيرس في لندن . ثم اجبرت الانتفاضة الانظمة العربية، بعد طول مماطلة وتجاهل، على التحرك لعقد قمة الانتفاضة في الجزائر التي اوقفت التحركات المشبوهة والبديل الفلسطيني والحلول الانفرادية واعادت القضية الفلسطينية الى موقعها الطبيعي ، القضية المركزية العربية الاولى.

وفي قمة موسكو تصدر صراع الشرق الاوسط بند الصراعات الاقليمية، واقرت الولايات المتحدة بضرورة المشاركة السوفييتية. بعد رفض استمر عقودا، كما وافقت على فكرة المؤتمر الدولي .

ومنذ ذلك الوقت ، وبتأثير الانتفاضة ، وعبر دور الاصدقاء والحلفاء ، تتسع دائرة القائلين بالمؤتمر الدولي الفعال ، وذي الصلاحيات الكاملة ، وظهرت امكانيات واقعية فعلية لبدء مسيرة الحل السياسي ، التي اساسها احقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وبمشاركة قيادته الشرعية والوحيدة، منظمة التحرير الفلسطينية.



Digitized by Birzeit University Library

ان الاهمية الحاسمة لمسألة بدء مسيرة الحل السياسي انها تجيء في ظل ونتيجة لعوامل عدة للفعل الثوري الفلسطيني ، ربما يكون اهمها،في وقت تقوم هذه الحركة فيه بالهجوم،والعدو الاسرائيلي بالدفاع،معبرا عن ذلك بفعل الانتفاضة واحداثها والردود الاسرائيلية عليها ، وكذلك ردود فعل اصدقائها.

ولذلك باتت هناك ضرورة ملحة كي تشارك القيادة السياسية في تفعيل نتائج هذا الفعل ولدفع المسيرة حتى ايصالها الى عقد المؤتمر الدولي.

ان ذلك يتطلب ابطال الغام وازاحة عقبات يكدسها الطرف المواجه في الطريق ، والمعني تجريد اسرائيل من امكانيات تعطيل هذه المسيرة،وانتزاع زمام المبادرة الكامل من يديها،ومحاصرتها سياسيا،كما تحاصرها الانتفاضة انسانيا واخلاقيا واعلاميا..الخ.

هكذا فان الوضوح في طرح الاهداف السياسية الفلسطينية بات امرا تقتضيه المصلحة الفلسطينية العليا ، وهي ابعد ما يكون ، وعلى النقيض ، من مطالب واشنطن وتل ابيب التي سبق وكانت تفرضها في مرحلة التراجع الدفاعي التي سبقت الانتفاضة.

اسرائيل،بلسان رئيس وزرائها وسائر الوزراء والمسؤولين الاخرين،تواصل التهرب من المؤتمر الدولي،وتصر على المفاوضات الثنائية المباشرة،بدعوى ان الميثاق الوطني الفلسطيني ينص على تدميرها ، وبدعوى النوايا الفلسطينية والعربية الكارهة لاسرائيل والحاقدة عليها.. وبدليل ان الفلسطينيين يرفضون الاعتراف بها ، بوجودها ومطالبها الامنية . وهي تواصل رفع هذه المزاعم في وجه العالم باسره،كلما حدث شيء ما في منطقة الشرق الاوسط،وحتى حينما تحاول الكويت او البحرين التزود بصفقة سلاح دفاعي للحفاظ على وجودها.

الفلسطينيون في غير حاجة للتعامل مع مثل هذه المزاعم ، ولا يجوز القبول بموقف المتَّهم والمضَّطر للدفاع عن نفسه امام الرأي العام العالمي. لكننا في حاجة لان تزود اصدقاءنا بما يساعدهم على مواصلة الهجوم،وحشر واشنطن وتل ابيب اكثر،في ركن لا تجدان معه مخرجا غير القبول بالانصياع للارادة الدولية،والقبول بالمشاركة في المؤتمر الدولي الفعال ذي الصلاحيات.

## المؤتمر الدولي والبديهيات

لكن قد يكون مفيدا التذكير، بان اسرائيل وهي تلجأ للمزاعم السابقة،لاحباط عقد المؤتمر الدولي،فانها لا تفعل ذلك لانها تخاف حقيقة من قدرتنا ، قدرة الفلسطينيين والانظمة العربية ، على تدميرها في المستقبل القريب وحتى البعيد. انها وهي تملك قوة عسكرية ضخمة بما في ذلك قوة نووية وكيماوية وبيولوجية كبيرة انما تستحث الاحتكارات الامبريالية الضخمة ، والنظم الموضوعة في خدمة هذه الاحتكارات ، على تعزيز هذه القوة ، ومنحها سبقا يتعذر اللحاق به ، في حال حدوث تغييرات جذرية على نظم المنطقة ، وهي تختفي وراء هذه المزاعم للمضي في رفضها ، ومن ثم لاستمرار مصادرتها ، لحقنا في تقرير المصير . وللحيلولة دون انشائنا لدولتنا الوطنية المستقلة ، وتهربا من حل المشكلة الفلسطينية من جوانبها الاخرى.

وفي ظل العملية الجارية ، بالفعل الثوري المتمثل في الانتفاضة ، وبما احدثته من انقلاب في مسار العملية السياسية ، بالانتقال من التراجع الدفاعي ، الى وضع الهجوم من اجل الظفر بحقنا



Digitized by Birzeit University Library

في تقرير المصير ، وبالدولة المستقلة وحل جوانب القضية الاخرى ، في ظل ذلك فان التهرب من السؤال الموجه من العالم،ومن اصدقائنا في المقدمة،ومن القوى الديموقراطية الاسرائيلية ، حول مسألة الاعتراف باسرائيل،بوجودها ومطالبها الامنية ، في ظل ذلك ، لم يعد ملائما الاستمرار في اصطناع الغموض والهرب من الجواب بالقول،ولكن اسرائيل ترفض الاقرار بحقنا في تقرير المصير.

موضوع الاعتراف تم حسمه في العام ٤٨ ، في القرار رقم ١٨١ المعروف باسم قرار التقسيم . والميثاق الفلسطيني خضع للكثير من التغييرات والتبديلات في قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية المتعاقبة حتى بات ما يطرحه الفلسطينيون فعلا وما يتمسكون به هو قرارات الدورة التوحيدية ال ١٨ في الجزائر.

وكما يذكر القارىء . فان فصائل فلسطينية ، وعلى رأسها الشيوعيون ، اتصفوا في العام ٤٨ ببعد النظر وقبلوا التقسيم رغم اجحافه بحق شعبنا . لكنهم قبلوه لان قراءة ميزان القوى على الصعيد الوطني والاقليمي والعالمي كانت تنذر بكارثة كبرى تحل بالشعب الفلسطيني في حال رفضه. وقد صدقت تنبؤاتهم .

وبعد مرور سنوات طويلة ، وما لا يحصى من الفواجع والالام ، كان يمكن تجنبها ، وكان يمكن توفير هذه الجهود النضالية الضخمة من اجل حق تقرير المصير ، بعد ذلك عادت بعض الفصائل واعلنت ندمها على تفويت تلك الفرصة التاريخية ، واعتبرت رفض القرار قد تجاوز الخطأ حتى الوقوع في الخطيئة.

ان جوهر قرار التقسيم ، من الناحية السياسية ، هو في نصه على قيام دولتين متجاورتين في فلسطين بينهما علاقات اقتصادية وحسن جوار. والذين قبلوه سابقا ولاحقا قبلوا الاعتراف باسرائيل وبوجودها . لكنهم لاحظوا المكسب الكبير في ان القرار يؤمن للشعب الفلسطيني ممارسة حقه في تقرير المصير وفي دولة مستقلة على ضعف مساحة الضفة والقطاع ، ويضمن بقاء اهلنا في ارضهم وبيوتهم ويمنع انتزاع هذه الارض والبيوت منهم بالقوة.

لا ضرورة للتذكير ، حسب اعتقادي ، بان الذين رفضوه انذاك وبعد ذلك ، كانوا هم ومعهم سائر الشعب الفلسطيني ضحية مؤامرة خسيسة حاكتها الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، وحماتها الامبرياليون ، بمهارة ودقة كبيرتين وكانت اداة تنفيذها انظمة عربية تابعة وتحت شعارات نصرة فلسطين ، وببنادق الجيوش العربية التي قدمت "لانقاذها!" فاضاعتها.

ومن جديد تكوّن واقع .ومن خلال دراسة الوضع الدولي المعاصر ، وقوانينه وشرائعه ، وموازين القوى فيه،تبين ان من غير الممكن العودة للمطالبة بتنفيذ قرار التقسيم . وقد حاولت اسرائيل جاهدة بعد اطباق قبضتها على الضفة والقطاع تكرار ما حدث في اعقاب رفض قرار التقسيم ، من خلال خلق واقع جديد على اساس المصادرة والاستيطان ، واقع لا يترك خيارا للمجتمع الدولي غير التسليم بوجوده،اي ضم ما تبقى من فلسطين لها . لكن فشل الجانب الاساسي من المؤامرة ، والمتمثل ببقاء الفلسطينيين في ارضهم وتشبثهم بها ، جعل المحاولات الاسرائيلية جهدا عبثيا ومدانا من قبل المجتمع الدولي ، جهدا يتعارض مع مصلحة الشعوب في التطلع نحو السلام وفي العالم اجمع.

وهكذا كانت حصيلة تجربة نضالية كبيرة ، ان حددت فصائل وطنية فلسطينية عديدة ، اهداف النضال الوطني الفلسطيني بما يلي. حصول شعبنا على حقوقه الوطنية الثابتة وفي مقدمتها حقه



Digitized by Birzeit University Library

المقدس ، غير القابل للتصرف ، في تقرير المصير ، وحل مشكلة اللاجئين على اساس قرارات الامم المتحدة التي تخيرهم بين العودة والتعويض واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس العربية.

وفيما يتعلق باقامة الدولة فقد قالت فصائل بقيامها على اي شبر يتحرر من فلسطين وباعتبارها حلا مرحليا للقضية الفلسطينية وحددها الحزب الشيوعي الفلسطيني بحدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ وبان الحل الذي يوصلنا الى اقامة هذه الدولة هوالحل المقبول استنادا لدراسة موضوعية للوضع الدولي وموازين القوى العالمي وشرائع وقوانين المجتمع المعاصر.

وقد صادقت الدورة التوحيدية للمؤتمر الوطني الفلسطيني ال ١٨ على البرنامج المذكور ليصبح برنامجا لكل القوى المشاركة فيه واختار الجميع المؤتمر الدولي كطريق وحيد ، هو طريق الحل السياسي ، لتحقيق هذه الاهداف. ونجح الفعل الثوري المتمثل في الانتفاضة على ان تقر قمة الانتفاضة العربية التي انعقدت في الجزائر البرنامج المذكور كما اكدت على طريق المؤتمر الدولي لتحقيقه.

ما الذي يعنيه تحديد اهداف النضال الوطني الفلسطيني على النحو المذكور وبالملموس؟ انه من حيث الجوهر عودة لقرار التقسيم مع فارق واحد ، وهو ان قيام الدولة الفلسطينية المنشودة سيكون على نصف الارض فقط التي كانت مخصصة لها في قرار التقسيم الصادر عام ٤٨ . وكما كان الحال في السابق حين لم يكن قرار التقسيم هو الحل الامثل ، البعيد عن الانصاف ، المجحف بحق الشعب الفلسطيني كذلك هو الحال الان . وكما كان الحال في الماضي فان موقف الكل او لا شيء ينذر الشعب الفلسطيني بمزيد من الكوارث لا اكثر.

واذا تجاوزنا الجديد في السياسة الكونية ، ما اوضحه التفكير الجديد في السياسة العالمية ، وهو انتفاء القدرة على حل الصراعات بالقوة العسكرية ، بما في ذلك الصراعات الاقليمية ، فانه يستوجب التوقف عند معنى قبول انظمة عربية ، رفضت في الماضي سبل الحلول السياسية ، والمؤتمر الدولي كطريق لاقرار الحل السياسي للصراع العربي الاسرائيلي.

من المعروف ان هذه الدول تنادي ببلوغ التوازن الاستراتيجي ، وتنادي باستراتيجية المواجهة الطويلة الامد على غرار ما حدث مع الصليبيين ، تلك المواجهة التي امتدت مئتي عام. لكن قبولها بطريق المؤتمر الدولي يعني تعديلا لهذه الاستراتيجية وموافقة على المساهمة في الجهد الدولي لدفع عجلة التحرك التي بدأت الانتفاضة تدويرها للوصول الى عقد المؤتمر الدولي.

انه لاغراق في الوهم ، ان يخطر في بال احد ، ان المؤتمر الدولي سينعقد في غياب اسرائيل ، وان المشاركين فيه لن يتحاوروا معها . ولن يوقعوا معها الاتفاقيات . وان المؤتمر سيسير في اتجاه واحد هو تلبية مطالبنا وعدم سماع مطالب اسرائيل ، وفرض الامر عليها وتحقيق ما نريد. وهكذا مع ان الجلوس والتحاور لا يكون مع الاشباح فان الذين يقبلون فكرة المؤتمر الدولي يقبلون في الواقع الاعتراف باسرائيل ووجودها ويستعدون للتحاور في مطالبها الامنية وحتى التوسعية بالرفض او بالقبول او بالتسوية الوسط.

ومع ذلك وبافتراض اننا ملكنا مصباح علاء الدين ، او خاتم سليمان ، وتمكنا باستخدام سحرهما من اقناع الدول المشاركة والادارة الاميركية في المقدمة بتلبية مطالبنا فقط ، ووافقت كلها على رفضنا الاعتراف بوجود اسرائيل ، وبان ما نطلبه حل مرحلي لا نهائي ، كما يقول المعارضون لوثيقة ابو شريف ، الا يستوجب ان نتوقف لحظة لتفحص الواقع وممكناته؟!



Digitized by Birzeit University Library

ان دولتنا المنشودة ، ستكون على الاقل في المراحل الاولى ، هي الاكثر حاجة لحفظ امنها. هي المحتاجة لضمانات دولية تقيها شر الاطماع الصهيونية والضربات التي يمكن ان تنزلها بها آلتها العسكرية الجبارة . وسيكون في انتظارها كم هائل من المشكلات ذات الاولوية التي تتطلب حلولا سريعة وآنية. ولن يكون بمقدورها توظيف المال اللازم ، الذي ستفتقر اليه ، ولا الجهد الكافي، لبناء جيش يستطيع مواجهة جيش اسرائيل والصمود لضرباته القوية.. والمسألة لا تحتاج لفهم الاستراتيجيات العسكرية للتوصل الى حقيقة ان مسألة بناء جيش متقدم يحتاج وقتا طويلا ناهيك عن اللحاق بالجيش الاسرائيلي الذي يتقدم بمسافة غير قليلة على الجيوش العربية مجتمعة.

ومن السخف التصور ان العالم ، وهو يحاول اطفاء بؤرة الحرب الناجمة عن صراع الشرق الاوسط ، سيسمح لنا باعادة النفخ في جمراتها،وانه لن يقيدنا بالعمل في هذا الاتجاه.

والى جانب هذا وذاك اذا كنا فعلا نريد دولة في الضفة والقطاع ، فما اظن انه تفكير واقعي هذا الذي يقول بان التنقل بينهما يحتاج للدوران حول رأس الرجاء الصالح لنعيد نموذج باكستان وبانغلادش الذي لم يصمد للحياة. ان هذا التنقل يقتضي ممرا بينهما وهذا الممر غير معلق في السماء وحتى لو كان كذلك فهو سيكون في سماء اسرائيل والمرور فيه يحتاج الى اتفاق معها ، يعني اعترافا بوجودها. كما ان التفكير في طرق للاستيراد عبر ميناءي حيفا واسدود على الاقل حتى انشاء ميناء في غزة هو امر يفرضه الواقع.

وهناك مسائل اخرى تتطلب مثل الترتيبات السابقة ، مثل مسائل المياه والكهرباء والعمل..الخ . باختصار ان للدولة الفلسطينية المنشودة مصلحة اكبر من مصلحة اسرائيل في قيام حالة من التعايش وحسن الجوار مبنية على الاعتراف المتبادل اعتراف بين دولتين ذات سيادة بين دولتين متساويتين في الحقوق والواجبات والمسؤوليات تجاه شعبيهما وتجاه المجتمع الدولي وقوانينه وشرائعه وتجاه السلام العالمي.

باعتقادي انه بات من واجب القيادة السياسية الفلسطينية ، استنادا لتحليل معطيات الواقع الجديد ، ان تبادر للاسهام في دفع عجلة الحل السياسي عبر طريق المؤتمر الدولي الفعال ذي الصلاحيات ، بان تعلن استعدادها للاعتراف باسرائيل والقبول بوجودها ، وان تقرن ذلك باشتراط اعتراف اسرائيلي متزامن بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وبدولته الوطنية المستقلة وبقبول طريق المؤتمر الدولي ذي الصلاحيات والفعال كطريق فعال ومضمون للوصول بالحل السياسي الى خاتمته المرضية باحلال سلام دائم وثابت ومقيم على اساس حل المشكلة من جميع جوانبها.

ان لدى منظمة التحرير واصدقائها المقدرة على توفير الضمانات اللازمة والكافية للاعلان المتزامن ذاك . ويمكن للمرء ان يتخيل حجم الارباك الذي ستقع فيه القيادتان الاميركية والاسرائيلية اذا ما حدث ذلك ولعل ما احدثته وثيقة بسام ابو شريف من ارتباك وبلبلة مؤشر على ذلك.

والوثيقة المذكورة لم تفعل في تقديري غير محاولة قول هذا الذي سلف. مع ان ابو شريف ذهب بعيدا في اثبات حسن النوايا حين عرض فكرة اجراء استفتاء شعبي في الارض المحتلة حول موضوعة القيادة الفلسطينية الشرعية ، وكذلك حول مقولة الشعب اليهودي والتفاوض مع الليكود وغير ذلك .



Digitized by Birzeit University Library

ان حق الشعوب في اختيار قيادتها السياسية حق مقدس غير قابل للتصرف ، وكما اوضح الزعيم السوفييتي ميخائيل غورباتشوف للرئيس ريغان في قمة موسكو فانه من غير الجائز مجرد التفكير بان تفرض قوة ما خارجية قيادة لشعب ما،كما ليس من حقها الاعتراض على هذه القيادة ، بغض النظر عن طبيعة هذه القيادة وفكرها السياسي واساليب عملها . ذلك ان الشعب المعني وحده هو صاحب المصلحة وهو المسؤول عن محاسبتها وعن استمرار وضع ثقته بها او سحبها منها ، وغير ذلك تكون مثل هذه القيادة مجرد دمية يحركها الاجنبي كما يشاء وضد مصالح شعبها.

واعتراض اسرائيل على القيادة الفلسطينية غير واقعي ولا يتفق مع وجهة نظر القانون الدولي وشرائع المجتمع الدولي المعاصر ، بنفس المقدار الذي هو غير واقعي وغير مقبول محاولة فرض الفلسطينيين قيادة اسرائيلية يمكن التحاور معها. ويعرف ابو شريف انه اذا كان لا يحق للفلسطينيين المطالبة بشطب الليكود وحركة فتحيا ، وتسومت وكاخ وغيرها،من المؤسسات الاسرائيلية التنفيذية والتشريعية ، فانه في ذات الوقت لا يحق لاسرائيل المطالبة حتى باستبعاد جماعة مثل جماعة ابو نضال،باعتبار ذلك شأن فلسطيني داخلي يتعلق بممارسة الفلسطينيين لسيادتهم الوطنية،ويجري حلها بطريقة تناسب الشعب الفلسطيني وحده.

من الممكن مثلا في هذا المجال لو ان ابو شريف قدم عرضا يقوم على اساس الحق المتساوي في استبعاد الاشخاص الذين يعتقد الطرف الاخر بوجود علاقة لهم بالارهاب . وفي هذا المجال لدى الفلسطينيين الكثير مما يمكن قوله حول ماضي وحاضر قادة اسرائيل من شامير حتى موظفين من الدرجة الثانية في مختلف الوزارات وفي الكنيست وغيرهم . هؤلاء لا ترتبط اسماؤهم بالارهاب على مستوى الفرد فقط ولكنهم ايضا يوجهون ارهاب الدولة الذي ادين مرات كثيرة في جملة من المحافل الدولية.

لكن ذلك غير واقعي كما قلنا من الناحية العملية ، وهو غير واقعي للطرفين الفلسطيني والاسرائيلي. فحق الشعوب في اختيار قيادتها السياسية المسؤولة حق ثابت غير قابل للتصرف وغير متنازع عليه وبهذا يتوجب التمسك بكل قوة.

فيما يتعلق بمسألة الشعب اليهودي اترك الرد للبروفيسور الاسرائيلي يشعياهو ليبوڤيتش ومثله حجة لا يجادل ، ودرجاته العلمية - ٧ شهادات دكتوراه - احداها في الفلسفة منحته مكانة مرموقة جدا ليس في اسرائيل وحدها التي ترى في شخصه مبعث فخر لها ، وانما هذه المكانة تعدت اسرائيل الى العالم كله وفي اوساط العلم والجامعات في الغرب على وجه الخصوص.

في مقالة لصحيفة "بوليتكا" يتحدث فيها عن المخاطر التي تتهدد اسرائيل بسبب اصرارها على الاستمرار في اغتصاب الاراضي الفلسطينية المحتلة،ومصادرة حق شعبها في تقرير المصير، وحرمانه من امكانية اقامة دولته المستقلة ،وفي تعريف مصطلح "الشعب" يقول البروفيسور ليبوڤيتش بالحرف ما يلي:

"شعب، هو ليس موجودا طبيعيا من الممكن تعريفه بشكل موضوعي. "شعب" هو موجود ادراكي ، هو موجود ما دام الادراك بوجوده موجودا ، وليس له وجود خارج هذا الادراك . فليس هناك تعريف موضوعي معرف للشعب الهندي ، للشعب البريطاني ، للشعب الالماني وللشعب العربي. فهل هناك شعب يهودي؟ فمن ناحية ادراك ووعي اليهود ، ليس كل اليهود ، فانه ما زال موجودا حتى اليوم ، وانه حسب رأي كثرة من المؤرخين ومنظري العلوم الاجتماعية



Digitized by Birzeit University Library

في القرن التاسع عشر ، وايضا اليوم ، فان وجود الشعب اليهودي قد توقف منذ فترة .
ومثل هذا القول حول مسألة الشعب اليهودي من قبل هذا العالم الكبير لا يحتاج لاضافة مزيد.

# محطة (٢)

## القضاء .. والعدالة

وجود جهازين للقضاء في اسرائيل ، واحد للعرب واخر لليهود ، بات حقيقة يقر بها قضاة ومحامون اسرائيليون ، مثل القاضي المتقاعد ايلي ناتان ، ولا ينكرها ، او يحاول دحضها المسؤولون الاسرائيليون . ودور جهاز القضاء ، بما في ذلك الادعاء العام ، والمستشار القضائي لرئيس وزراء اسرائيل ، وحتى المحكمة العليا ، المعروفة باسم محكمة العدل العليا، هذا الدور ينحصر ، وباقرار المعلقين في وسائل الاعلام ، في منح غطاء قانوني لمسلك جنود الاحتلال وممارساتهم القمعية ، ولتقنين الاجراءات والاوامر الصادرة من الجهات العليا السياسية ، وضد الانتفاضة وشعبها.

موشيه نجبي في حداشوت مثلا كتب يقول:"هناك انطباع بان عددا من الشخصيات المسؤولة في الادعاء العام ، وربما ايضا المستشار القضائي للحكومة الاسرائيلية يرون مهمتهم في ان يكونوا محامي دفاع للجهاز السلطوي بكل ثمن وتحت اي ظرف".

ويفسر نجبي هذا المسلك بقوله:" هذا الفهم يدفع هؤلاء لنسج تصرفات تنسجم وتصرفات مستشاري المافيا ، بمعنى اشبه ما يكون بمحام فاقد الضمير ، والروادع الذاتية ، ومستعد لتبرير اي عمل بغيض والدفاع عنه" .

ويقدم نجبي مثالا على مسلك مستشاري المافيا فيقول:"صدر في المناطق المحتلة امر يحظر اي تدخل قضائي حقيقي فيما يتعلق بالاعتقالات الادارية . والامر هنا لا يتعلق بمصادرة ممتلكات وانما بمصادرة حرية اشخاص دون محاكمة . لكن يوسف حريش المستشار القضائي لرئيس وزراء اسرائيل صمت . ولو انه ابدى رأيه في حينه لمنع تحول "التجاوزات!" الى عادة ، والتي اصبح من الصعب اقتلاعها الان. وكذلك كان الحال بالنسبة لسياسة الضرب وتكسير العظام والاوامر غير القانونية المرتبطة بها".

ويشخص البروفيسور يشعياهو ليبوڤيتش الامر بقوله ان "دولة اسرائيل لم تعد دولة قانون"
وبعد استعراض لممارسات الجيش والتغطية القانونية عليها يتساءل ليبوڤيتش وهو شخصية اعتبارية عالية المقام في اسرائيل ويتصف بالحصافة والعمق في الدوائر الجامعية الغربية ، يتساءل:"ترى هل علينا الاستنتاج هنا بانه يتوجب علينا التمييز بين نازيين حقيقيين ونازيين معتدلين؟! ويجيب :"اذا ما استمر الحال فستحدث الفوضى او لعل علينا ان نقول بان الوحش النازي لن يكون بعيدا عن الشعب والمجتمع الاسرائيلي" . ويصرخ ليبوڤيتش :"ما ننفذه في المناطق المحتلة لا نسميه ارهابا وانما سياسة لانها تنفذ بواسطة حكومة قانونية وجيش منظم". وتدوي صرخته اعلى حين يقول:"حتى رئيس محكمة العدل العليا تحول في اسرائيل الى اداة استعمال في التنكيل خلال التحقيق مع اسرى فلسطينيين".



Digitized by Birzeit University Library

ويلخص عضو الكنيست ، من حركة راتس - حقوق المواطن - ، يوسي سريد ، امام لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، عدالة القضاء والقانون الاسرائيلي وديمقراطية النظام ، بانها "ديمقراطية وعدالة لليهود فقط" . ويقدم مثالا فيقول:"المستوطنون قتلوا ٢٥ فلسطينيا وتم فتح ٢٥ ملفا لهذه القضايا. لكننا لم نر ملفا واحدا حتى الان استكمل التحقيق فيه. ولم يقدم مستوطن واحد للمحاكمة ، ومع ذلك تطلبون محاكمة امرأة من قرية بيتا ، ثارت عندما رأت اخاها وزوجها يتخبطان في دمائهما".

يمكن ايراد العديد من التعليقات المشابهة والامثلة التي تثبت عنصرية القانون والقضاء الاسرائيلي وصرخات الخوف من المستقبل المظلم الذي ينتظر شعب اسرائيل جراء هذا التدهور المتواصل لقانون وقضاء يقومان على التمييز . وليس اقلها ما يؤكده المعلقون الاسرائيليون ، ومحامون ورجال قضاء من منح المستوطنين حصانة قانونية ضد الملاحقة القضائية على اثر ارتكاب جرائم قتل وغيرها ضد اهالي المناطق المحتلة واستصدار قوانين واوامر تفنن الاجرام الاستيطاني.

ان البروفيسور يورام دابنشتاين الخبير الاسرائيلي في القانون الدولي وصف الادعاء العام العسكري بانه"يأخذ وضع القاضي والجلاد في نفس الوقت" فان وزير الدفاع الاسرائيلي رابين لا يكتفي بما وصل اليه قضاؤه وقانونه من انحراف، وما اصابه من تشوه عنصري. فرابين حمل القضاء بالذات مسؤولية فشل وعوده في اخماد الانتفاضة . قال:"ان الاجراءات التي تسمح للعرب بالتوجه للمحكمة العليا الاسرائيلية في مسائل مثل الابعاد وهدم البيوت تجعل وزارته تواجه صعوبات كبيرة في تنفيذ المزيد من هذه الاجراءات لردع العرب".

اسحق شامير رئيس الوزراء رد على الفور ، مؤكدا ما سبق واوردناه من ملاحظات المعلقين وغيرهم عن طواعية القضاء الاسرائيلي ودور القانون في لعب دور محامي الدفاع للجهاز السلطوي الاسرائيلي ، وتسهيل الاجراءات القمعية وتوفير التغطية القانونية لها. شامير رد على الفور قائلا ، وهو وزير الداخلية كما هو معروف ، ان "السلطة القضائية في اسرائيل يجب ان تتعاون مع السلطة الامنية في تنفيذ هذه العمليات".

## لماذا الان؟

ان المواطن ، من ابناء المناطق الفلسطينية المحتلة ، لا بد وهو يستمع لصرخات التحذير الصادرة من رجال قانون ، صحافة ، علماء وحتى مسؤولين اسرائيليين ، خوفا من تدهور وضع القانون في اسرائيل وبما يحمل نذر طغيان الفاشية التي ستصيب اليهود ايضا قبل العرب ، هذا المواطن لا بد ان يتساءل بالقول:ان الحال كان كذلك طوال ال ٢١ سنة الماضية فلماذا الان تصدر هذه الصرخات؟ وما الذي ايقظ ضمائر اصحابها ان هي استيقظت بالفعل؟! وهل هذه الصرخات حقيقية ام مجرد مساهمة اعلامية لتبييض وجه الديموقراطية الاسرائيلية الذي غطته لطخات وحل الممارسات القمعية . وامتهان القانون والعدالة والقضاء؟!

لقد كان الحال هو نفسه في فترات شد القبضة الحديدية وفي فترات ارتخائها. او باستعمال العصا ، والتي ظلت في سجال طوال ال ٢١ سنة دون توقف.



Digitized by Birzeit University Library

لقد ظل الحال نفسه بخصوص اجراءات الاعتقالات الادارية والنظر فيها امام لجان الاستئناف العسكرية ، وفي المحاكمات الصورية امام المحاكم العسكرية حيث مزاج القاضي والادعاء العام هما الفيصل القانوني . والحال نفسه في اجراءات الابعاد والنظر فيها امام المحكمة العليا ، وكذلك في قضايا مصادرات الاراضي ، والبيوعات بالعقود المزورة ، وبمختلف اشكال التحايل وما اكثرها وما اشد تنوعها ، وكذلك بشأن سياسة تدمير البيوت والعقوبات الجماعية والغرامات المالية وفرض الضرائب...الخ.

وكذلك ظل اصحاب الضمائر ، الذين تربوا في"ظلال الديموقراطية الوارفة"على صمتهم . يدعون بان تظلمات العرب مجرد اكاذيب. فالعربي الفلسطيني كاذب بالفطرة لانه من جنس ادنى واليهودي صادق بالفطرة لانه من جنس اعلى.

لماذا الان اذن. وما الذي اثار كل هذه المخاوف فانطقهم ولو ان النطق عابر ومؤقت كما اعتقد؟! الجواب بسيط. الانتفاضة انطقتهم . نعم الانتفاضة . فلقد اجبرت الانتفاضة سلطة الاحتلال على الظهور عارية امام شعبها. وبدت انيابها تتأهب لنهش لحمهم ايضا. ان كثافة احداث الانتفاضة دفعت بالسلطة العسكرية ، والسياسية الاسرائيلية الحاكمة ، الى تكثيف اجراءاتها وممارساتها المناقضة للقانون والى دفع القضاء والادعاء للخروج سافرا والدفاع عن هذه الاجراءات وتقديم السند والغطاء القانوني لها.

وهكذا صار الامر مفهوما ،فكثرة من الناس ، ومن الذين يعتقدون بانهم اصحاب رسالة ، واصحاب ضمائر وفكر ، وكما يعلمنا التاريخ،لا يحسون بلهيب النار الا عندما تبدأ حرارته تصلي جلودهم . وها هو حالهم الان مع قضائهم.

لكنه،رغم ما يحسه المرء من وجع اصاب مطلقي الصرخات فانه يحس من الجانب الاخر بانها زائفة ومؤقتة ومحاولة دعائية لديموقراطية النظام .

والا فلماذا يتناسى هؤلاء عن عمد ما كانت لجنة "لنداو" قد كشفته في تحقيقاتها ، واثارت ضجة محدودة في حينها ما لبثت ان خمدت ، كما يحمل دائما في العالم الحر ، من ان جهاز المخابرات العامة والتحقيق ـ الشين بيت ـ كان يلجأ للكذب والتزوير، وليس فقط في الملفات التي كانت تعدها لضحاياها ، بل وامام المحاكم ، وانها افرزت جهازا احترف مهنة الكذب هذه امام القضاء .. واوصت اللجنة باتخاذ اجراءات للحد من هذا التزوير ومن الكذب وتضليل العدالة ؟!

وجاءت الانتفاضة وطارت مع انفجارها توصيات لجنة لنداو. وظلت محكمة العدل العليا تعتمد التقارير السرية المزورة كوثائق قانونية تستند اليها في التصديق على اوامر الابعاد وغيرها من الاجراءات.

والسؤال الذي يواصل المتباكون ، على مستقبل القضاء الاسرائيلي والعدالة الاسرائيلية ، التهرب منه هو ؛ اذا كان رجال الشيت بيت ـ جهاز المخابرات والتحقيق ـ،ويجري اختيارهم في العادة من بين النخبة في المجتمع الاسرائيلي،قد احترفوا التزوير والكذب ، كما اكدت توصيات لجنة لنداو ، فكيف هو الحال مع الذين يزودونهم بالمعلومات لوضع التقارير السرية ، من المتعاونين معهم من ابناء المناطق المحتلة ، وهؤلاء على نقيض صفات اسيادهم اذ ، كما هو معلوم ، ينتمون لحثالة المجتمع الفلسطيني ولا يملكون ذرة من شرف او ضمير؟!

ما الذي يمكن قوله في قضاء يعتبر ما يضعه هؤلاء من معلومات في الملفات السرية ، حقائق لا تقبل الجدل ، يعتمدها رجال القانون الاجلاء ، ويحرمون محامي المبعد او المعتقل اداريا من



Digitized by Birzeit University Library

الاطلاع عليها رغم ان موكله يواجه حكما يفوق في قسوته حكم الاعدام؟!

في احدى المرات سألت محاميا مرموقا عن السر في مثل هذا التصرف البعيد عن اخلاق القضاء بعد الارض عن السماء. وكان جوابه مذهلا. لانهم يعرفون ان هذه البينات كاذبة ويخافون من الكشف عن مزوديها . لان الكشف بالاساس يشكل مسبة لجهازهم الذي يتعاون مع مثل هؤلاء من الساقطين اخلاقيا واجتماعيا وحتى انسانيا .

## والحال مع الصحافة

ما لم يصرخ به المتباكون على مستقبل العدالة والقانون بعد هو وجود حالة مشابهة لكن في الاعلام . فرغم تغني زملائنا الصحفيين الاسرائيليين بحرية الصحافة التي تكفلها "جنات الديموقراطية الوارفة!" في اسرائيل يغمضون العيون عما يجري للصحفيين الفلسطينيين . ولا اقصد هنا تعرض الصحفيين الفلسطينيين الدائم للملاحقة والاعتقال الاداري وغير الاداري . اقصد مسألة الموقف من حرية الكتابة من حرية الكلمة المطبوعة والمسموعة،من حرية التعبير .

لا يخطر ببال هؤلاء الزملاء ان يتوقفوا ولو للحظة وان يتساءلوا لماذا لا يستطيع الصحفيون الفلسطينيون ، على كثرة صحفهم ، وهم ابناء البلاد ، وتربطهم عرى القرابة والصداقة بضحايا الاضطهاد ، ويعيشون في اماكن الاحداث ، يرونها ، يتنفسونها ، يعيشونها بكل ذرة من خلايا ادمغتهم واجسادهم ، لماذا لا يستطيعون عكس صورة ولو بسيطة عما يجري في صحفهم؟! لو سألوا مثل هذا السؤال لاستنتجوا بداهة ان ذلك لا يتعلق بعدم اتقان حرفة المهنة،وليس بسبب نقص الوقائع والمعلومات،ولكن لانهم ابناء الجنس الادنى ،لذلك فهم محرضون وكذابون لا ينقلون الحقيقة . واذا كان اتهام كهذا قد صدر بحق صحفيين ومصورين اميركان فما بال الفلسطينيين اذن ؟! وهكذا يظل ما يكتبون قابعا في ادراجهم وما يرون حبيسا في ادمغتهم وصدورهم.

ليس جهازان للقضاء فقط موجودين في اسرائيل ، بل موقفين ايضا من حرية التعبير من حرية الكلمة . فهناك صحفيون يمكنهم قول ما يشاؤون وبالاسلوب الذي يرونه مناسبا لانهم من الجنس الاسمى،وهناك اخرون يحظر عليهم التعبير لا لشيء الا لانهم ابناء شعبهم،يعيشون همومه،ويتنفسون آماله،لانهم ابناء الجنس الادنى ، وهم لا يملكون غير التقاط ما تجود به الصحافة الاخرى.

والامر بسيط ، الاحتلال محكوم تاريخيا ولا يستطيع السير في طريق اخر والا لتخلى عن كونه احتلالا،التراجع وانسحب . والخائفون اصحاب الصيحات محقون ، ومخلصون لشعبهم ، يبغون مداواته قبل ان يستفحل الداء وقبل ان يعز الدواء ، ولكن هيهات فالشفاء في انتفاء صفة الاحتلال نفسها ، وامامهم مثلنا معركة كبيرة مع سلطاتهم قبل ان يصبح جهاز القضاء عندهم كما هو حاله في التطبيق علينا.



Digitized by Birzeit University Library

# محطة (٣)

## وسقطت احدى المقدسات الاخرى

## حقوق الانسان.. والسياسة الاسرائيلية

كما هو الحال مع عدالة القضاء الاسرائيلي بات موضوع تجاوز حقوق الانسان ، وبصورة ادق الانتهاك الفظ المستمر لحقوق الانسان الفلسطيني ، داخل وخارج الاراضي المحتلة ، موضوعا يثير اعمق القلق في بعض دوائر الاعلام والفكر ، وذوي التوجهات الانسانية واصحاب الضمير في اسرائيل.

لكنه يتواجد بين المعلقين والمحليين ، كما تشير بعض المقالات المترجمة للعربية ، من يزعم بان الوضع كان معقولا ، وان "هناك اضرارا قليلة ومحدودة ونسبية بكل ما يتعلق بالمحظورات القانونية والدولية اثناء معالجة شؤون سكان المناطق المحتلة" قبل الانتفاضة . وان "سجل اسرائيل جيد في موضوع حقوق الانسان داخل الخط الاخضر ، وسجل معقول بصدد حقوق الانسان في المناطق المحتلة" قبل الانتفاضة كما قال الياهو سلفستر في احدى معالجاته للموضوع في هآرتس.

في نظر سلفستر واخرين بدأ التدهور الكبير بعد الانتفاضة حيث وقع "التمادي الكبير يتجاوز حقوق الانسان" وبسبب "ضغط المستوطنين" ايضا.

وليس كل المتناولين للموضوع مثل سلفستر. البروفيسور يشعياهو ليبوڤيتش يضع الامور عارية مجردة فيقول في احدى مقالاته ، وهو يطرق الموضوع بدأب في كل مقالاته تقريبا :"دولة اسرائيل ليست ديمقراطية وليست دولة قانون ايضا. لانها تسيطر على ١ر٥ مليون فلسطيني مجردين من الحقوق المدنية والسياسية و"الحوادث الشاذة!" تتحول حتما الى اسلوب ، لانها ليست ظواهر ثانوية لنظام حكم الاحتلال ، وانما هي ظواهر اساسية له".

وبصورة مماثلة يتحدث المحاضر في العلوم الاجتماعية بجامعة تل ابيب د.عوديد عوفير الرافض للخدمة العسكرية في الاحتياط ، يقول مخاطبا وزير الدفاع في كتاب رفض الخدمة العسكرية:"زالت الحدود بين النشاطات الاحترازية والعقوبات ، عشرات الالاف عوقبوا بصورة استعراضية وتستخدم قوة مبالغ فيها ضد متظاهرين ويموت اطفال خنقا من الغازات المسيلة للدموع ويفقد اخرون عيونهم من الرصاص المطاطي . وتتحطم حقوق الانسان يوميا وبصورة دائمة . والتنكيل الاجرامي على اختلاف خطورته تنفذه السلطات وفي منطقة وسطى بين القانون والجريمة ويعمل الجيش في المناطق المحتلة وفقا لتعليمات جزء منها غير قانوني . ويطلق الجنود النار وفقا لتعليمات غير قانونية وفي هذه الاجواء تنشط كتائب المستوطنين".

ويمكن ايراد الكثير من المقتطفات بعضها يعترف بدون مواربة بالانتهاك الاسرائيلي الفظ لحقوق الانسان الفلسطيني ويحذر من المنزلق المظلم الذي تنحدر اسرائيل عليه ، وبعضهم يحاول تبرير افعال السلطة والتماس الاعذار لها ويدافع عن صورتها التي طالها التشويه في اوساط



Digitized by Birzeit University Library

اصدقائها ومحبيها.

والمواطن في الارض المحتلة وهو يرى ويقرأ هذه التحليلات ، يواجهه تساؤل، كما في حالة القضاء ، لماذا الان؟ وما هي العوامل والاسباب التي دفعت الى هذه اليقظة؟ وباي فعل؟ وما مدى جديتها؟! وباختصار ما الذي انطق كل هؤلاء وقد كان الحال نفس الحال طوال ال ٢١ عاما من عمر الاحتلال؟!

والجواب هو نفسه انها الانتفاضة . الانتفاضة هي التي انطقت كل هؤلاء بعد ان دفعت بثقلها قادة الحكم العسكري وقادة اسرائيل الى خلع ورقة التوت وتكثيف اجراءاتهم القمعية بشكل تجاوز الحدود وجعل اقرب واخلص اصدقائها يضجون غضبا اما لانهم لا يقبلون لها ان تفعل نفس الفعل الذي جعل اليهود احدى اكبر ضحايا انتهاك حقوق الانسان على يد العصابة النازية او لان ما تفعل يتعارض مع شعاراتهم ، وفي حالات معينة مع مثلهم وقيمهم.

قبل الانتفاضة كانت سلطات الحكم العسكري وهي تتناوب اللعب بالعصا والجزرة في اطار سياسة القبضة الحديدية تنفذ الممارسات ذاتها ، العقوبات الجماعية ، بما في ذلك حظر التجول ، الاغلاق ، التجويع ، هدم البيوت ، الاعتقالات ، الابعاد ..الخ. وكانت تقارير منظمات حقوق الانسان ، وبينها منظمة امنيستي ، السنوية تحوي فيضا من الممارسات الإسرائيلية الفظة في مجال حقوق الانسان ، وكان التنديد بهذه الممارسات والانتهاكات ثابتا ومستمرا على مدى ال ٢١ عاما. وكذلك كانت سجلات منظمة حقوق الانسان والمواطن في اسرائيل تطفح بهذه الممارسات وبالتنديد بها وادانتها.والمطالبة بالكف عنها لا تتوقف .

لكن السادة المنتفضين الان لحقوق الانسان كانوا يتجاهلون كل ذلك وكانوا اما يصمتون او يتهمون العرب المتظلمين بالكذب والمنظمات الانسانية والدولية المندة بالتحيز وحتى بالتزوير.

وجاءت الانتفاضة وانقلب الميزان . فهذه الانتهاكات كما قلنا ظهرت في فترة زمنية قصيرة مكثفة قاسية وفظة الى حد لا يصدق وغير مقبول في دوائر اصدقاء اسرائيل. وقد واجه الزعيم السوفييتي ميخائيل غورباتشوف الرئيس ريغان بها عندما تحدث الاخير في موضوع حقوق الانسان واقصره على حق الهجرة لليهود من اصل سوفييتي. كما طالبه غورباتشوف باستخدام نفوذ الولايات المتحدة على اسرائيل لوقف هذه الانتهاكات الصارخة . واضطر ريغان لابتلاع الملاحظات وارسال ريتشارد شيفتر وكيل وزارة الخارجية الاميركية لشؤون حقوق الانسان لبحث الموضوع في اسرائيل.

كما باتت هذه الانتهاكات موضع قلق الجاليات اليهودية في اوروبا واميركا لما تلحق من تشويه بصورة اسرائيل ، ومن تغيير في موقف شعوب اوروبية واميركية ظلت صديقة لاسرائيل منذ ولادتها كدولة.

وبفعل هذا الخوف بالذات تحرك هؤلاء . وقد لخص سلفستر الامر في هآرتس على النحو التالي : "هناك مؤشرات تدل على ان الاوروبيين سيقولون لنا وسيتبعهم الاميركيون بانه ليس بالامكان التعامل بالنسبة لحقوق الانسان من طرف واحد. ستكون هناك علاقة بين ما نطالب به وما يطالبوننا به".

ووقع حتى الان بعض ما تنبأ به سلفستر. الجالية اليهودية في فرنسا تحذر من احتمالات تغيير وانعطاف في موقف الرأي العام الفرنسي حيال اسرائيل بسبب ممارساتها القمعية . ووفد اميركي من ١٥ عضوا بينهم الاطباء والمحامون والصحفيون واساتذة جامعات من ١٤ ولاية زار



Digitized by Birzeit University Library

الاراضي المحتلة واتبع طريقة خاصة لمراقبة وتوثيق اوضاع حقوق الانسان وبعد عودتهم صرحوا بانهم شاهدوا ما لم تستطع كاميرات التلفزيون نقله وطالبوا الشعب الاميركي الانضمام لهم في ندائهم الموجه للحكومة الاميركية بالضغط على اسرائيل من اجل وضع حد لانتهاكات حقوق الانسان" وطالبوا المجتمع الدولي بفعل الشيء ذاته كما طالبوا الحكومة الاميركية بوقف المساعدة العسكرية عن اسرائيل.

وهكذا غدت تصرفات الابنة المدللة "للعالم الحر" . اسرائيل موضع تنديد وادانة ، ومع ذلك يستمر ساسة الدفاع عن ممارساتهم ممارساتهم ويمضون قدما في انتهاكاتهم الفظة لحقوق الانسان الفلسطيني . ويتمسك هؤلاء الساسة "بقاعدة ذهبية" لا يملكون انفكاكا عنها. لسان حالهم يقول ما دام هناك في العالم الان او قبل ذلك ، من تفوق تجاوزاته لتجاوزتنا فلا معنى اذن للومنا.

آخر دفاعات هؤلاء الساسة على اساس القاعدة المذكورة ما ادلى به ثعلب اسرائيل الماكر شمعون بيرس. ففي مقارنة بين وحشية الممارسات الاسرائيلية الواقعة الان في العام ٨٨ ووحشية الممارسات القمعية البريطانية في الاعوام من ٣٦ الى ١٩٣٨ قال بيرس: البريطانيون اعدموا ٢٠٠ فلسطيني وقتلوا الافا اخرين ونحن لم نفعل ذلك . وهكذا اعتبر بيرس اهتمام وسائل الاعلام بما يجري في المناطق المحتلة تحيز غير مقبول لانه لم يكن كذلك في اعوام الحكم البريطاني.

لكن ساسة اسرائيل محكومون بمثل هذه السياسة وهذه الممارسات بحكم الواقع الموضوعي لكونهم محتلين يفرضون حكمهم المرفوض على شعب اخر. والسؤال ما بال الذين استيقظوا فجأة بفعل دوي انتهاكات تدق اذانهم بلا توقف؟!

هؤلاء ما زالوا ينطلقون ايضا من التزام سابق ، الانتهاكات لا تكون حقيقة ولم تقع ان لم يعترف بها احد ممن ارتكبوها. لكنها غير موجودة ، لم تحدث ولم تقع اذا صرخ بها احد ضحاياها الفلسطينيين حتى لو كانوا بالالاف ، او حتى الشعب كله.

هم معذورون لانهم اسرى الاستعلاء العنصري البغيض هم ابناء الجنس الاسمى فكيف يمكن قبول الحقيقة ان جرت على لسان ابناء الجنس الادنى؟! ولكنها الحقيقة ولا مهرب منها.

Digitized by Birzeit University Library

وثيقة

# مذكرة من عضوي الكنيست توفيق زياد وتوفيق طوبي

# الى الرأي العام الاسرائيلي والعالمي

# حول معتقل "انصار ٣"

يوم الاثنين ١٩٨٨/٧/٤ قمنا بزيارة معتقل "انصار - ٣" وفيما يلي بياننا حول الموضوع:

يقع معتقل "انصار - ٣" كتسيعوت على بعد خمسة كيلومترات من الحدود المصرية ، بين صحراء النقب وصحراء سيناء ، حيث تصل درجة الحرارة صيفا حتى ٤٠ - ٤٥ درجة مئوية واحيانا تقفز عن ذلك . هذا مع البرد الصحراوي القارس ليلا.

ان وجود هذا المعتقل داخل اسرائيل يتعارض مع المواثيق الدولية ، التي تحرم نقل معتقلين واسرى خارج اية منطقة محتلة ، واما اختيار هذا الموقع بالذات فلم يكن صدفة ، بل هو بحد ذاته عقاب شديد القسوة ومعاد للانسانية ، ضد معتقلي الانتفاضة الفلسطينية.

والمعتقل معزول تماما ولا يمكن للانسان العادي ان يصل اليه. هو نفسه منطقة عسكرية مغلقة ، وكذلك المنطقة المحيطة به عسكرية مغلقة . اقرب نقطة يمكن الوصول اليها هي الحاجز العسكري الذي يبعد ٣ كيلومترات عن المعتقل. ولا يمكن اجتيازه الا بتصريح عسكري خاص.

وغني عن الذكر ان نقول ان المعتقل اقيم بقرار سريع وخصوصا لمعتقلي الانتفاضة فقط.

بوصولنا المعتقل بدأنا زيارتنا بالاجتماع مع آمر المعتقل الكولونيل دافيد صيمح. ومن اقواله ومما شاهدناه بانفسنا ترتسم الخارطة والاحصائيات التالية:

- عدد المعتقلين : ٢٧١٧ منهم ٢٣٩٨ اداريون والباقي ٣١٩ محكومون.
- اعمار المعتقلين: تتراوح بين ١٦ و ٧٠ سنة . احد المعتقلين من الذين قابلناهم هو سليم يوسف سليمان ابو زيد من قباطية وهو ابن ٦٩ سنة . معتقل مع ابنه.
- المعتقلون لا يعرفون باسمائهم وانما لكل منهم رقم يعرف وينادي به.
- عدد المعتقلين الذين زجوا فيه منذ اقامته يزيد عن ٥ الاف.
- هنالك عدد من المعتقلين كانوا قد انهوا مدة اعتقالهم الاداري او محكوميتهم ، وبعد اطلاق سراحهم بأيام معدودة اعيد اعتقالهم ثانية دون اية تهمة .
- هنالك عدد من المعتقلين بتهمة قذف حجارة في شهر نيسان ، في حين انهم كانوا في نيسان في المعتقل! - المعتقل عبد الرحمن ابو نوفل يده



Digitized by Birzeit University Library

اليمنى مقطوعة ، واعتقل بتهمة قذف الحجارة !

- المعتقل بسام زكي قال له المحققون ان تهمته هي انه صديق للمعتقل محرم البرغوثي . الدكتور عبد الستار قاسم اتهم بنشر منشور في شهر نيسان بينما كان انذاك في السجن .

• احكام قاسية بشكل خاص : هنالك عدد من المحكومين صدرت ضدهم احكام قاسية بشكل لا يتصوره العقل ، فمثلا بين سنة واربع سنوات واكثر على زجاجة حارقة او قذف حجارة .

• مرضى ومعاقون: هنالك عدد كبير من المعتقلين المرضى والمعاقين جسديا وعقليا. وفيما يلي اسماء بعض هؤلاء:

- اكرم الخواجا وحرب عابد: مريضان بالصرع (الارضية).

- محمد ابو صالح: شلل نصفي. بدلا من علاجه داخل الزنزانة عقابا له.

- عبد الرحمن نوفل وزياد يوسف رمال: مرض عيون خطير يهدد بصرهما كليا.

- بدران جابر: مريض قلب. فقط قبل اسبوعين اصيب بجلطة.

- سليم يوسف سليمان ابو زيد: مريض معدة وبحاجة الى عملية جراحية بقرار من طبيبه قبل اعتقاله يوم ٨٨/٣/١٥.

- عبد المالك التلولي: معتقل منذ ٨٨/٣/٣٠. اصيب بعدة نوبات قلبية ويتلقى حبوب مرض القلب وهو تحت العلاج.

وحالة هذا المعتقل غريبة بشكل خاص ، اذ يقول ان هنالك قرار محكمة استئناف عسكرية من يوم ٨٨/٥/٢٦ باطلاق سراحه ، ولكن القرار لم ينفذ حتى اليوم. بعد القرار نقلوه الى غزة (انصار ٢) ثم اعادوه الى (انصار ٣) قبل عشرة ايام.

• هنالك فصل تام بين المعتقلين اداريا والمحكومين ، وفصل تام بين معتقلي ومحكومي الضفة الغربية ، ومعتقلي ومحكومي قطاع غزة وهؤلاء محتجزون في معتقل صغير هو ، رسميا ، جزء من المعتقل الكبير ولكنه يبعد عنه ٣ كيلومترات ويبرز بين المحكومين هنا العدد الكبير من الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ال ١٥ وال ١٧ سنة .

• المعتقل مقسم الى اربعة اقسام اساسية كل منها يضم بين ١٠٠٠ الى ١٢٠٠ معتقل.وكل قسم اساسي يضم خمسة اقسام فرعية كل منها يضم ٢٠٠ - ٢٤٠ معتقلا. وفي كل قسم فرعي تقوم ثمانية خيام كل منها يضم بين ٢٢ حتى ٢٨ معتقلا. وكل قسم فرعي معزول تماما ومحاط تماما بالاسلاك الشائكة عن باقي الاقسام الفرعية ، وكذلك كل قسم اساسي.

• ارضية المعتقل مكشوفة اطلاقا وترابية بما في ذلك ارضية الخيام نفسها.

• ينام المعتقلون داخل الخيام على فرشات تلتصق بعضها ببعض وممددة على عوارض خشبية ترتفع فقط ٢ - ٣ سنتمترات عن الارض. هذا يجعلهم عرضة للزواحف واخطارها. المعتقلون: "مرة امسكنا بعنكبوت ضخم كان ممسكا بفأر ويحاول ان يفترسه. سلمناه الى ادارة المعتقل"!

• • • • •

## الصحف والكتب

• وسيلة الاتصال الوحيدة مع العالم الخارجي هي الصحف ، ولا يوجد حتى جهاز ترنزيستور واحد.

• المعتقلون يستلمون ٤ صحف يومية هي :القدس ، النهار، جيروزلم بوست ، هآرتس. وهي تصلهم متأخرة بضعة ايام. اخر ما كان قد وصل منها حتى يوم زيارتنا ٨٨/٧/٤ كانت اعداد الاربعاء ٨٨/٦/٢٩. صحف اخرى ممنوعة بتاتا. احضرنا معنا الاعداد الاخيرة من الاتحاد ولكن الادارة رفضت ادخالها.

• ادارة المعتقل تصدر ، بين الفترة والاخرى ،



Digitized by Birzeit University Library

"نشرة" خاصة تنشر فيها مقتطفات (ذات لون معروف طبعا) من بعض الصحف وتوزعها على المعتقلين.

• الكتب شحيحة الى درجة انه لا يمكن اعتبارها موجودة في كل قسم فرعي (٢٠٠ - ٢٤٠ معتقلا) يوجد عشرون كتابا احضرها لهم الصليب الاحمر الذي يسمح له بزيارة واحدة في الاسبوع. اما نوعية الكتب فمن النوع الخفيف البعيد عن "السياسة" والفكر التحليلي ، مثل كتاب "الوسادة الخالية" وما شابه.

## ادوات الكتابة والرسائل

• ادارة المعتقل وزعت لكل سجينين اثنين وفي بعض الاقسام لكل ثلاثة ، دفترا لكتابة الرسائل مع حق كتابة رسالة واحدة كل اسبوع لكل معتقل.

• هذه الدفاتر ليست كافية لا لكتابة الرسائل ولا للحلقات الدراسية التي يقيمها المعتقلون في مواضيع شتى.

• منذ اقامة المعتقل قبل اشهر وحتى اليوم ، لم يستلم اي سجين اية رسالة جوابية من اهله ، فالاهالي يرفضون الكتابة الى المعتقلين لاسباب مبدئية.

## زيارات الاهل

• اهل المعتقلين منذ البداية اعلنوا مقاطعتهم التامة لكل ما يتعلق بهذا المعتقل بما في ذلك زيارة ابنائهم وكتابة الرسائل لهم ، وذلك نتيجة لموقف مبدئي بسبب ما يلي:

- المعتقل نفسه وما يحيط به منطقة عسكرية ، وهذا يتطلب تصريحا بالزيارة من ضابط "الادارة المدنية" الذي يجتمع مع طالبي التصريح فتجري "العروض" و "الشروط" بالتعاون مع الاحتلال ومع المخابرات وما شابه.

- مجرد اشتراط طلب التصريح امر يتنافى مع الحق المبدئي بموجب المواثيق الدولية ، وكذلك بعد المعتقل.

بعد انتهاء لقائنا مع مدير المعتقل دخلنا عددا من اقسام المعتقل حيث يحجز المعتقلون . تجولنا بضع ساعات بينهم ، دخلنا عددا كبيرا من الخيام والتقينا بمئات المعتقلين وسمعناهم ، وسمعنا كثيرين منهم بتوسع وبمدى ما سمح به الوقت المحدود. وكل ذلك امام مدير المعتقل وبعض مساعديه الذين رافقونا طيلة الوقت.

التركيبة الطبقية والاجتماعية للمعتقلين هي نفس تركيبة الشعب الفلسطيني ، الكل موجود ولا احد غائب: العمال والطلاب وابناء المخيمات (ويشكلون الاكثرية الساحقة) والشخصيات الاجتماعية والنقابية والشبابية والشعراء والكتاب والصحفيون ومحاضرو الجامعات والمعلمون والموسيقيون والرسامون وجميع الشرائح الاجتماعية الاخرى.

ومن بين الذين سمعناهم مطولا كانت الاسماء التالية ، مع ارقامهم التي يعرفون بها:

دكتور (علوم سياسية) عبد الستار قاسم (رقم ٢٨٨١) - محرم البرغوثي ، رئيس اللجنة العليا للعمل التطوعي في المناطق المحتلة (٦٦٢)

حسن زقوت (٣٣٦٠) - الشاعر عبد الناصر صالح - الشاعر المتوكل طه - المحامي يوسف الجرو (٢٨٢٣) - الطبيب ابراهيم السلقان (٤٢٤٨) - بشير البرغوثي (٦٧٠) - صلاح علي زهران (٦٦٤) - فاروق حكمت (٦٦٥) - عدنان السلقان - عبد المالك التلولي (٢٤١٥) - سليم يوسف سليمان ابو زيد - عطا ابو رميلة - عبد الرحمن نوفل. والتقينا كذلك في خيمتهم المعتقلين لؤي عبده وربحي حداد من نابلس .(لؤي عبده هو احد العشرة الذين قررت سلطات الاحتلال ابعادهم عن الوطن في ١٩٨٨/٧/٨).

* * * * *



Digitized by Birzeit University Library

## الاوضاع الصحية

الاوضاع الصحية مأساوية تفتقر الى الحد الادنى من الحد الادنى. فقط المعدل الشبابي للعمر وروح التضحية والمعنويات الوطنية العالية ، تشكل عاملا موضوعيا للحد من تفشي الامراض بشكل واسع.

لا توجد مياه جارية ، ولا شبكة مياه . المياه تجلب الى المعتقل بواسطة صهاريج على سيارات . وكثيرا ما يكون المعتقل حتى بدون قطرة ماء واحدة . اثناء زيارتنا قال لنا المعتقلون انه منذ الصباح وهم بدون ماء . نظرنا الى ساعتنا . كانت الساعة الثانية عشر والنصف ظهرا والحر لاهبا. تحققنا من ذلك بانفسنا. سألنا مدير المعتقل فقال ان هذا امر شاذ ونادرا ما يحدث. المعتقلون اكدوا امامه ان هذا يحدث كثيرا.

والى جانب الحنفيات الفارغة كانت اطباق الفطور ملقاة على الارض الترابية تنتظر حضور الماء للجلي ، واسراب الذباب والحشرات تملؤها . وعلى بعد متر واحد تقوم "المنافع" وهي عبارة عن جورتين في كل قسم فرعي (٢٠٠ - ٢٤٠ معتقلا)، كل منها مغطاة بلوحة اسبست مثقوبة وروائحها طالعة ، داخل المكان ممتلىء بالذباب والحشرات . والى جانب المنافع توجد "الحمامات" التي هي في وضع تعيس مشابه.

الصابون - قطعة واحدة لكل خيمة (٢٥ - ٣٠ معتقلا) يوميا وهي للحمام والحلاقة والغسيل وكل الاستعمالات الضرورية.

الاستحمام - مرة واحدة كل عشرة ايام ، ولمدة ٣ الى ٤ دقائق حتى يفسح المجال لغيره.

يقول المعتقل فاروق حكمت :"انا اشتغل في مخزن المعتقل. اليوم مثلا لا يوجد في المخزن ولا قطعة صابون واحدة . عادة نعطي كل قسم فرعي (٢٠٠ - ٢٤٠ معتقلا) ١٢ قطعة صابون كل يومين . اول امس نقص الصابون فوزعنا على كل قسم فرعي فقط ٨ قطع".

الحلاقة - يحلقون شعورهم في جانب احدى الخيم . رأينا اثناء زيارتنا اكوام الشعر المحلوق تتناثر مع الهواء في كل اتجاه. اما ذقونهم فادارة المعتقل توزع على كل قسم (٢٠٠ - ٢٤٠ معتقلا) ثمانية شفرات فقط !

وهذا الوضع يسبب بالضرورة امراضا جلدية معدية وما شابه.

الثياب - باعتقاله يعطى المعتقل قميصا وبنطلونا مستعملين طبعا. بشكل عام الثياب بالية وممزقة وبازرار مقطعة ، ولا يجري اي تصليح لها اذ لا توجد في المعتقل مغسلة عامة ولا مكان تصليح. المعتقلون قالوا لنا انهم يلبسون نفس القميص والبنطلون منذ دخولهم المعتقل ، ونادرا ما تتوفر للواحد امكانية غسل ثيابه هذه . ولدى غسلها يضطر المعتقل ان ينتظر ملابسه حتى تنشف وهو بثيابه الداخلية جالسا داخل الخيمة . الويل للمعتقل الذي يخرج من خيمته بدون قميصه او اذا كان قميصه مفتوحا بسبب فقدان زر او لسبب اخر.

العلاج - لا توجد في المعتقل عيادة (بوليكلينيك) . مدير المعتقل :"طلبنا من القيادة العسكرية اقامة عيادة ولكن حتى اليوم لم تقم" لدينا لكل قسم اساسي (١٠٠٠ - ١٢٠٠) معتقل طبيب و ٤ ممرضين. المعتقلون :"نادرا ما نراهم . العلاج سطحي جدا ويعتمد اساسا على المسكنات".

الطعام - المطابخ في الاقسام مكشوفة والمخازن في خيام نصف مكشوفة .

يقول المعتقلون:"الطعام بدون طعم او رائحة وغير كاف" . منذ اقامة المعتقل والوجبات تعتمد اساسا على الفاصولياء والعدس ، والحمص اما نوع اللحمة الوحيد الذي يقدمونه احيانا فهو معلبات . منذ ٨٨/٦/١٧ ونحن مضربون عن تناول هذه اللحمة المعلبة التي لا تطاق ، وادارة السجن ترفض تقديم غيرها . حصة المعتقل من الخضروات هي ١٨٠ غراما ومن الفواكه ٢٤٠



Digitized by Birzeit University Library

غراما يوميا ولكن هذا نظري اكثر منه فعلي لان قسما كبيرا منها يصل المعتقل فاسدا ويلقى الى الزبالة .

وتقع احيانا حالات تسمم اخرها كانت حالة تسمم جماعي (حوالي ٣٠ معتقلا) وقعت قبل عشرة ايام من زيارتنا.

في المعتقل غير قائم نظام "الكانتينة" الذي يعتمد مبلغا معينا شهريا او اسبوعيا يستطيع المعتقل ان يشتري به وعلى حسابه الخاص ، بعض الامور الحياتية الضرورية كالسجائر والصابون ومعجون الاسنان والحلويات وما شابه.

وادارة المعتقل تمنع قطعيا ادخال اي شيء من هذه الاشياء وما شابه من الاحتياجات من خارج المعتقل الى المعتقلين . اما السجائر فهي توزع لكل معتقل عشر سجائر يوميا ومن نوع "اسكوت" .

## " العدد" اليومي

الاستيقاظ في الساعة الخامسة صباحا ، "العدد" يجري ثلاث مرات يوميا. الاولى في الساعة السادسة صباحا ثم ظهرا ومساء . ويجري على الوجه التالي: يجلس المعتقلون على ارضية الخيمة بكامل لباسهم وايديهم وراء ظهورهم ، وممنوع على الواحد منهم ان يلتفت او ان ينبس ببنت شفة والا عوقب على ذلك واحيانا تعاقب المجموعة باكملها بسبب "مخالفة" من قبل احد المعتقلين .

ويعتبر المعتقلون هذا الشكل نوعا من الاذلال. ويقولون انه كثيرا ما تجري ادارة المعتقل "عددا" رابعا ، فقط بهدف الازعاج ، مثلا في الساعة الثانية صباحا! وحدث ان قام الجنود بقطع صلاة المعتقلين لاجراء "العدد"! هكذا وفي غير الساعات المحددة لذلك!

° ° ° ° °

## العقوبات وممارسات القمع والاذلال والمضايقات

مجرد وجود المعتقل في موقعه وظروف الوحشية هو عقاب جماعي للاف نزلائه. ولكن فوق ذلك يخضع المعتقلون لعقوبات اضافية ومعاملة "خاصة" ويقضي المعتقلون الساعات الطويلة بدون اي نشاط اجتماعي انساني . ومنها:

- الضرب والشتم والركل . وقد حدث ان قام نائب آمر المعتقل ، وهو كولونيل باسم "ايتسيك" ، بالاعتداء بالضرب على المعتقلين في قسم أ. المعتقلون قدموا شكوى على ذلك ولكنها حتى الان ما زالت "قيد التحقيق".

- تهديدات ضد المعتقلين بتمديد اعتقالهم الاداري بهدف الضغط النفسي وشراء ضمائر.

- من انواع العقاب ربط الايدي وراء الظهر وربطها بالارجل . هكذا عوقب مصطفى نخله - من الجلزون - في ٨٨/٥/٢٠ مدير المعتقل:"لا نسمح بضرب المعتقلين ولكن هنالك حالات شاذة" المعتقلون :"ليست مجرد حالات شاذة بل كثيرة الوقوع".

- عملية الشبح - وهي معاقبة المعتقل بواسطة اجباره ان يجلس في الشمس الحارقة ويداه خلف ظهره ولمدة ساعات. عادل طبيلة من نابلس مثلا شبح لمدة ساعات طويلة تحت الشمس الحارقة لانه خرج من الخيمة وقميصه مفتوحا.

- الزنازين - في كل قسم زنزانة او اكثر - تسميها الادارة "غرفة عزل" - يعاقبون المخالفين بوضعهم فيها . الواحدة مساحتها ٢٫٥ × ٣ متر مربع يحشرون فيها العشرات ، يوم ٨٨/٦/٢٥ حشروا في الزنزانة الواحدة ٤٢ معتقلا لمدة ١٠ ساعات متواصلة .

- ومن المضايقات المقصودة منع المعتقلين من الخروج خارج الخيام بعد الساعة العاشرة حتى لقضاء حاجاتهم كذلك ممنوع بتاتا ان يتواجد



Digitized by Birzeit University Library

اي معتقل خارج خيمته ولو امام الخيمة ، الا اذا كان لابسا كامل ثيابه وهذا طيلة الوقت.

- الصلاة - نسبة المصلين بين ١٥ الى ٢٠٪ . وعلاوة على ما ذكرناه من قطع الصلاة لاجراء "العدد" فان المعتقلين ممنوعين من التجمع في خيمة واحدة للصلاة (عادةبين ٤٠ الى ٤٥ معتقلا في كل قسم فرعي من ٢٠٠ الى ٢٤٠ معتقلا) بحجة انه ممنوع ان يتواجد في الخيمة اكثر من ٢٨ معتقلا للصلاة كحد اقصى مع ان الخيم ملتصقة تماما.

° ° ° ° ° °

## اخوة واباء وابناء معتقلون وممنوعون من رؤية بعضهم بعضا

في المعتقل ٢٧ حالة لاخوة واباء وابناء معتقلون منذ اشهر ، والواحد منهم اكتشف وجود الاخر في نفس المعتقل صدفة ، ولم يسمح لهم ان يلتقوا او يروا بعضهم البعض او ان ينضم الواحد الى القسم الذي فيه اخوه.

مثال على ذلك: محمد مشعل عضو بلدية طلحول اكتشف بالصدفة ان ابنه ايضا معتقل. سمع صوته صدفة من قسم اخر وهكذا تعرف على وجوده . لم يسمح لهما برؤية بعضهما البعض او بانضمام واحد منهما الى الاخر في قسم واحد. ومثال اخر : جمال وعلي ابو رميلة موجودان في احد الاقسام واخوهما عطا في قسم اخر. اكتشفا وجوده بالصدفة . وحتى اليوم لم يلتقيا به. وادارة السجن تمنع انضمامه اليهما. وهكذا فحتى "لم الشمل" ممنوع في هذا المعتقل الرهيب.

وحالة اخرى: سليم يوسف سليمان ابو زيد (٦٩ سنة) من قباطية معتقل مع ابنه.

علينا ان نكرر: ٢٧ حالة من هذا النوع!

° ° ° ° ° °

## محاكم الاستئناف

مؤخرا اقامت السلطات العسكرية محكمتي استئناف في كل منهما من قاض واحد. رسميا يستطيع كل معتقل ان يستأنف على امر اعتقاله الاداري ولكن عمليا الصورة هي على الوجه التالي:

منذ اقامة هاتين المحكمتين ، قامتا بالنظر في ٤٠٠ الى ٥٠٠ طلب استئناف . نسبة قبول القضاء للاستئنافات لا يتجاوز ال ١٥٪ اي ان ٨٥٪ من المستأنفين ترفض طلباتهم .

ويقول أمر المعتقل ان عدد طلبات الاستئناف التي تنتظر الدور للاستماع اليها تبلغ ١٢٠٠ .

ويقول المعتقلون ان محكمة الاستئناف هي صورية وهدفها تنفيس النقد اللاذع والتنديد بالاعتقال الاداري كوسيلة للقمع فحسب . ويقولون انه حتى في احسن الاحوال ، اي عندما يقبل الاستئناف ، فان المعتقل يكون قد قضى اكثرية مدة اعتقاله الاداري ، واحيانا كلها قبل ان يأتي دور استئنافه . وكثيرا ما يكون ادعاء النيابة ان اسباب الاعتقال والوثائق "سرية" لا يسمح للمعتقل او لحاميه معرفة هذه الاسباب. ويحدث احيانا ان يحضر المعتقل مع محاميه امام قاضي الاستئناف ولكن !! لا يجدون اوراق اعتراضه لدى القاضي . ويقول محامو المعتقلين ان ٩٩٪ من المعتقلين لم يحقق معهم.

وغني عن الذكر ان المحامين الذين يدافعون عن المعتقلين عليهم ان يسافروا ٤ ايام اسبوعيا (محاكم الاستئناف تعمل ٤ ايام في الاسبوع) ويوميا لمسافة مئات الكيلومترات ذهابا وايابا.

وبعد ،

هكذا هو معتقل (كتسيعوت) "انصار ٣" الرهيب . وفي مذكرتنا هذه استهدفنا ان نرسم



Digitized by Birzeit University Library

صورة اساسية عن هذا المعتقل ومعاناة نزلائه مبنية على الحقائق ، مع ان الكلمات تقف عاجزة امام الواقع. ان معتقل "انصار ٣" هو الجحيم بحد ذاته ! وهو اسوأ رمز للاحتلال وقمعه الوحشي ، الذي لا يعرف الحدود. انه وصمة عار ويتعارض مع ابسط القيم الانسانية والمواثيق الدولية . انه ضد السلام بين الشعبين الاسرائيلي والفلسطيني. وقال الدكتور عبد الستار قاسم :"ان هذا المعتقل يسيء لاسرائيل اكثر مما يسيء لنا".

اننا نصرخ من اعماقنا : يجب اغلاق هذا المعتقل فورا !! ويجب اطلاق سراح معتقليه وكل معتقلي الانتفاضة ، وذلك كمقدمة لالغاء جميع معتقلات وسجون الاحتلال واطلاق سراح نزلائها . ان هذا من شأنه ان يخلق مناخا افضل لنجاح مساعي السلام العادل.

ونحن نتوجه بهذا النداء الى الرأي العام الاسرائيلي والعالمي وكل اصحاب الضمائر والشرفاء والديمقراطيين ، حتى يرفعوا هم ايضا هذه الصرخة .

والى حين يتم ذلك ، نطالب السلطات المسؤولة بمعاملة المعتقلين على اساس انساني وبموجب المواثيق الدولية : التوقف عن ممارسات القمع والاذلال والمضايقات بمختلف اشكالها. وتوفير الطعام الصحي والشروط الصحية والعلاج الطبي الحقيقي والمياه الجارية الكافية لكل الاستعمالات والصابون والثياب الصالحة ، وتوفير الاتصال المسموع والمقروء مع العالم الخارجي: الاذاعة والصحف والكتب ، وكذلك الدراسة وادوات الكتابة.

توفيق طوبي

توفيق زياد

Digitized by Birzeit University Library

# محاولة في بحث آلية التغير الاقتصادي في المناطق المحتلة

د. سمير عبد الله

## مقدمة

هدف هذه المحاضرة اعطاء صورة موجزة عن الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين منذ واحد وعشرين عاما. وبسبب اتساع الموضوع وتشعبه، وصعوبة اختزاله في محاضرة واحدة، كان لا بد من اللجوء الى الانتقاء في تناوله. وقد حاولت، بقدر الامكان، التركيز على بعض المسائل الجوهرية والعامة دون الخوض في التفاصيل الوصفية والاحصاءات الا بشكل محدود. وقد ركزت جهدي لتبيان ابرز واعم التناقضات التي تحكم سير العمليات الاقتصادية، ولتوضيح عوامل التأثير في هذه العمليات. ونتائجها على اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة.

والهدف من تناول الموضوع بهذه الصورة هو محاولة توضيح كنه التغيرات الاقتصادية التي طرأت على هذا الاقتصاد، والتعرف على اتجاهاتها الرئيسية. كما امل من ذلك ايضا اثارة النقاش حول مسائل هامة لاثراء المعرفة بواقعنا الاقتصادي والاجتماعي. فهذه المعرفة ليست مهمة وحسب، بل وضرورية ايضا ويحتمها سعينا لتقوية سيطرتنا على شروط بقائنا وتطورنا في وطننا، وعلى تطوير شروط مقاومتنا للاحتلال وتحقيق اهدافنا في انتزاع حق تقرير المصير، وحق العودة، واحراز الاستقلال الوطني واقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة بقيادة ممثل شعبنا الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية.

---

* القيت هذه المحاضرة في مؤتمر "اربعون عاما على النكبة، وعشرون عاما على الاحتلال" الذي عقد في مدينة الناصرة في الفترة من ١ - ٣ تموز ١٩٨٨ بتنظيم مركز احياء التراث العربي.



Digitized by Birzeit University Library

## ١. عوامل تشكل وتطور اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة:

ادى الاحتلال الاسرائيلي الى اجراء تغيرات جوهرية في عوامل تشكل وتطور اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة . فبعد فرض سلطته الشاملة عليهما في اعقاب عدوان حزيران ١٩٦٧ بدأ تأثير مجموعة من العوامل الجديدة في اقتصادهما . وابرز هذه العوامل السياسة العامة لسلطات الاحتلال التي تمس مختلف اوجه نشاط المجتمع الفلسطيني ، بما فيها النشاط الاقتصادي ، وفتح السوق الفلسطينية وتحويلها الى سوق حرة لارباب العمل والشركات الاسرائيلية ، والعوامل الناجمة عن توسع السوق الاسرائيلية الى المناطق المحتلة . ومن العوامل الاخرى التي واكبت الاحتلال سياسة الجسور المفتوحة بين المناطق المحتلة والعالم العربي من خلال الاردن .

لقد تزايد تأثير هذه العوامل على حساب العوامل التي كانت تشكل ظروف التطور الاقتصادي قبل الاحتلال . تلك العوامل التي تقلص او دحر تأثيرها . ن التحكم في سير العمليات الاقتصادية ، ولقد تسنى لعوامل التأثير الجديدة التي ارتبطت بالاحتلال امتلاك قدرة التأثير هذه بسبب تخلف وضعف البنية الاقتصادية للضفة الغربية وقطاع غزة ، وبسبب التفاوت الكبير في مستوى التطور الاقتصادي بين المناطق المحتلة واسرائيل.

ولتفسير طبيعة التشكل والتطور الاقتصادي في المناطق المحتلة ، لا بد من التذكير بطابع الاحتلال القابع فوقها . وطابع السياسات والممارسات التي ينفذها فيها.

فالاحتلال الاسرائيلي ذو طابع كولونيالي استيطاني ونيوكولونيالي ، وهو يسعى الى تهميش الوجود المادي والروحي للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ويهدف الى تفكيك تكوينه الاقتصادي - الاجتماعي والثقافي في محاولة لدحره خارج وطنه ، واخضاع اجزائه المتبقية للتشكيلة الاقتصادية - الاجتماعية الاسرائيلية . ويحدد طابع الاحتلال هذا جوهر التناقض الرئيسي بينه وبين الشعب الفلسطيني . كما يحدد هذا التناقض كافة التناقضات الاخرى ، بما في ذلك تناقضات الوضع الاقتصادي.

ويظهر طابع الاحتلال الاسرائيلي هذا في سياسة اقصاء الشعب الفلسطيني عن شروط بقائه وتطوره في وطنه ، من خلال تقليص مصادر هذا التطور واستملاكها وتوسيع التشكيلة الاقتصادية - الاجتماعية الاسرائيلية على حسابها . ويبرز ذلك بصورة ملموسة في اتساع السيطرة الاسرائيلية على الارض والمياه والطاقة والتحكم في الاستثمار وتأهيل القوى البشرية والسيطرة على البنية التحتية والاستيطان الواسع . والاحتلال بطابعه هذا يدوس عمليا مصالح كافة الطبقات والشرائح الاجتماعية الفلسطينية ، ولا يترك المجال لاي منها للاستقرار والتوسع ، وهو بذلك يضع الشعب الفلسطيني كله في تعارض معه وفي مواجهته . ويقاوم الشعب الفلسطيني عملية اقصاءه عن شروط بقائه وتطوره بكل ضراوة . فبالاضافة الى دفاعه البطولي عن مصادره ، ومكافحته لكافة اجراءات وممارسات سلطات الاحتلال ، فهو لم يتوقف عن الدفاع عن بنائه الاقتصادي ، وعن محاولة تقوية وتوسيع هذا البناء كتجسيد لاهدافه في الاستقلال الوطني واقامة دولته المستقلة على ارض وطنه.

اما الطابع النيوكولونيالي للاحتلال ، والذي يبرز في سعي ارباب العمل والشركات الاسرائيلية



Digitized by Birzeit University Library

لتحقيق اقصى الارباح في المناطق المحتلة فان تأثيره على دينامية التطور الاقتصادي الداخلية في المناطق المحتلة متنوع ومتناقض .

فهدف الربح ، لا يتسنى تحقيقه دائما ، حتى في ظروف الاحتلال بواسطة النهب والسرقة المباشرين، بل يتحقق في الغالب بواسطة العمليات الاقتصادية التي تجري في السوق. ومن المعروف ان للعبة السوق قوانينها الموضوعية الخاصة التي لا يمكن التحكم بكل نتائجها.

ففي سبيل تحقيق اقصى الارباح ، ينبغي زيادة التبادل وفق شروط مواتية ، وفي المناطق المحتلة خلق الاحتلال شروطا مواتية جدا لارباب العمل والشركات الاسرائيلية ، حيث سمح بنشاطهم فيها بدون قيود . كما ان ما يمتازون به من تفوق وحماية ودعم حكومي وتسهيلات اقتصادية بالمقارنة مع المنتجين الفلسطينيين منحهم امكانية التحكم في اسعار التبادل ليس كباعة وحسب بل وكمشترين ايضا. ولكن زيادة حجم التبادل ترتبط بزيادة النشاط الاقتصادي ، او بزيادة القدرة الشرائية لجمهور المشترين للبضائع الاسرائيلية وزيادة الانتاج للمنتجات والمواد التي ترغب الشركات الاسرائيلية في شرائها.

وعلى الرغم مما تنطوي عليه هذه العملية من تغييرات هامة على محتوى النشاط الاقتصادي في الاقتصاد المحتل ، اذ يفرض عليه التكيف مع الظروف الجديدة بحيث تتقلص او تختفي انواع النشاط الاقتصادي المتعارضة مع مصالح الاحتلال الاقتصادية وتتطور وتتضخم انواع النشاط الاقتصادي التي يرغب فيها ، وما يواكب ذلك من تغيرات بنيوية عميقة وتبعية متشعبة فان توسع النشاط الاقتصادي في حد ذاته يحسن ولو مؤقتا شروط بقاء الشعب الفلسطيني في ارضه..

كما تنطوي عملية التبادل بين الاقتصاد المحتل والاقتصاد الاسرائيلي على نتائج جانبية اخرى ذات تأثير ملموس على مجرى التطور الاقتصادي والاجتماعي. فعلى سبيل المثال ادى زج عشرات الالوف من العمال الفلسطينيين في سوق العمل الاسرائيلي الى مراكمة الخبرة والمعرفة الفنية في بعض مجالات النشاط. كما فتح المجال امام ارباب العمل الفلسطينيين لشراء بعض انواع التكنولوجيا خصوصا في مجال الانتاج الزراعي والبناء.

وعلى الصعيد الاجتماعي ادى توسع التبادل الى تسريع عملية رسملة اقتصاد المناطق المحتلة . ورغم ما يكتنف هذه العملية من الام ، بسبب الطريقة التي جرت فيها ، خصوصا فيما يتعلق بفصم عشرات الالوف من الايدي العاملة عن وسائل انتاجها الخاصة في الزراعة والحرف ، وتحويلهم الى بروليتاريا تعتاش من بيع قوة عملها ، فان هذه التغييرات نقلت المنتجين المنعزلين والمشتتين في الريف والمدينة الى درجة معينة من الوحدة والترابط في الورش والشركات الرأسمالية ، ودرجة اكبر من التفاعل والاحتكاك بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . بمعنى اخر ساعدت في نقل فئات واسعة من المجتمع من حالة الركود السلبي الى حالة النشاط الايجابي وهي بذلك طورت قاعدة الكفاح الوطني الاجتماعية . وهناك تأثيرات اخرى جانبية سنتناولها لدى بحث نتائج الاحتلال على الاقتصاد الفلسطيني.

ومن المؤثرات الخارجية الهامة التي تؤثر على تشكل وتطور اقتصاد المناطق المحتلة سياسة الجسور المفتوحة بين المناطق المحتلة والاردن ، ومن خلاله الى الدول العربية الاخرى ، فعلى الرغم من القيود الاسرائيلية والاردنية بخصوص انتقال البضائع والافراد عبر الجسور ، فقد ظلت الجسور منفذا هاما لجزء من منتجات المناطق المحتلة الزراعية والصناعية . واتاحت المجال امام هجرة عشرات الالوف من الايدي العاملة والمواطنين الفلسطينيين الى الدول العربية ، كما



Digitized by Birzeit University Library

اتاحت حرية انتقال رؤوس الاموال من الدول العربية الى المناطق المحتلة وبالعكس. وسنحاول تلخيص اثر الجسور المفتوحة على التطور الاقتصادي في المناطق المحتلة في النقاط الرئيسية التالية:

١) ان اعتماد جزء من انتاج المناطق المحتلة على اسواق الدول العربية يعني بالضرورة تأثر اقتصادها بالتطورات الاقتصادية في تلك الدول ، ففي حالة الازدهار الاقتصادي تتمكن المناطق المحتلة من بيع المزيد من المنتجات وباسعار افضل والعكس بالعكس في حالة الركود.

٢) ان بقاء الدينار الاردني كعملة رسمية في الضفة الغربية الى جانب العملة الاسرائيلية، وزيادة تداوله كاداة ادخار ولتسديد المدفوعات الاجلة في قطاع غزة ايضا يعني ان اقتصاد المناطق المحتلة يتأثر بصورة مباشرة بوضع الدينار الاردني المرتبط بالوضع الاقتصادي في الاردن.

٣) افادت الجسور المفتوحة سلطات الاحتلال في تخفيف حدة المشكلات الاقتصادية التي نتجت او تفاقمت بسبب سياستها وممارساتها في المناطق المحتلة . حيث شكلت هذه الجسور منفذا هاما للايدي العاملة الفائضة وغير القادرة على ايجاد فرص عمل في اقتصادها المحلي ، وبذلك خففت من حدة البطالة . كما خففت من حدة مشكلة الركود الاقتصادي الناجمة عن زيادة فائض الانتاج النسبي وبخاصة الانتاج الزراعي ، الذي نشأ بسبب اغراق اسواق المناطق المحتلة بالمنتجات الاسرائيلية .

٤) كما ان دخول وخروج الاموال عبر الجسور المفتوحة ، الذي ارتبط بازدياد هجرة الايدي العاملة الفلسطينية وبتردي ظروف الاستثمار في المناطق المحتلة كان له تأثير كبير على دينامية التطور الاقتصادي . اذ ادى دخول تحويلات العاملين الى زيادة الطلب على الاستهلاك ، في حين قادت حرية خروج الاموال الى تقليص الاستثمار . ففتح المجال امام ارباب العمل الفلسطينيين للاختيار ما بين الاستثمار في المناطق المحتلة حيث تردت بصورة مضطردة ظروف الاستثمار تحت تأثير الاحتلال وما بين الاستثمار في الخارج يقود عمليا الى اختيار الخارج . وخاصة الاردن الذي رغم ظروفه الاقتصادية الصعبة ظل يتمتع بمناخ استثماري افضل من اقتصاد المناطق المحتلة.

وتأثير هذه المسألة على النشاط الاقتصادي يبرز في زيادة الطلب الاستهلاكي وعرقلة توسع القاعدة الانتاجية والتشغيل ، وبالتالي فان الزيادة في الطلب الناجمة عن زيادة التحويلات من الخارج تلبى بواسطة الشركات الاسرائيلية وما يعنيه هذا من زيادة الارتباط والتبعية للسوق الاسرائيلي.

٥) كما استخدمت الجسور المفتوحة كقناة تتدفق عبرها المساعدات المقدمة من الدول العربية . وتقود هذه المساعدات الى زيادة النشاط الاقتصادي ، ولكن افادة الاقتصاد الفلسطيني منها بصورة ملموسة ودائمة تعتمد على طرق استخدامها. فهي تزيد من القدرة الانتاجية ان وجهت للقطاعات الانتاجية ، وتزيد من الطلب الاستهلاكي ان وجهت لقطاعات الخدمات،وتصب اخيرا في جيوب ارباب العمل الاسرائيليين. كما ان توجيهها لقطاع الخدمات ، يساعد في بناء مؤسسات هامة للشعب الفلسطيني تنتفع منها فئات واسعة من المواطنين وتجعلهم مستقلين عن المؤسسات التي تديرها وتشرف عليها سلطات الاحتلال . ولكن ، وفي ذات الوقت تقلص العبء عن هذه السلطات التي من واجبها تأمين الخدمات الاساسية ، وفق القانون الدولي ،ويمكنهامن توفير جزء كبير من



Digitized by Birzeit University Library

الاموال الطائلة التي تقوم بجبايتها من المواطنين على شكل ضرائب ورسوم وما شابه.

ان تحديدنا العام للعوامل المؤثرة في تطور الاقتصاد الفلسطيني في المناطق المحتلة ، واتجاهات تأثيرها ، والتناقضات الناشئة عنها او الكامنة فيها يساعد في فهم التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي ظهرت خلال العقدين المنصرمين ، والوضع الاقتصادي الراهن جاء كمحصلة لصراع المؤثرات المختلفة . وسنحاول في النقاط القادمة القاء الضوء على المؤثرات الناجمة عن الاحتلال بصورة تفصيلية ومحاولة حصر محصلة صراعها مع التكوين الاقتصادي الاجتماعي الفلسطيني.

## ٢ - قنوات تأثير الاحتلال الاسرائيلي على التطور الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة

يمر تأثير الاحتلال على الوضع الاقتصادي في المناطق المحتلة عبر قناتين رئيسيتين هما:

اولا: الاجراءات والقيود المباشرة لسلطة الاحتلال.

ثانيا: السوق.

وسنتناول بصورة موجزة كلا من قناتي التأثير هذه في محاولة لاستقراء تأثيرهما على الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة.

### اولا: الاجراءات والقيود المباشرة لسلطة الاحتلال

ونعني بها كل ما يتعلق بنشاط سلطات الاحتلال الاداري والقانوني والعملي الذي يمس بالتطور الاقتصادي في المناطق المحتلة بصورة مباشرة او بصورة غير مباشرة. ويمكن ادراج هذا النشاط في اربع نقاط رئيسية:

١. تقليص مصادر نمو الاقتصاد الفلسطيني.
٢. التحكم في اوجه الاستثمار الفلسطيني.
٣. الرقابة والتحكم في التجارة الخارجية للمناطق المحتلة.
٤. الاهمال المتعمد لتطوير البنية التحتية للاقتصاد الفلسطيني.

#### ١. تقليص مصادر نمو الاقتصاد الفلسطيني:

بهدف تقليص امكانات التطور الاقتصادي والاجتماعي للشعب الفلسطيني ، لجأت سلطات الاحتلال الى تقليص مصادر الاقتصاد الفلسطيني في المناطق المحتلة ، وحرمت الشعب الفلسطيني من الاستفادة الحرة من مصادره وثرواته المادية والبشرية. وقد برز هذا في سلسلة من الاجراءات والقيود التي يمكن تلخيصها في :

١. تقليص رقعة الارض المتاحة لتصرف المواطنين الفلسطينيين ، وحرمانهم من حرية تخطيط وتنظيم استخدام ما يتبقى لهم من هذه الارض.



Digitized by Birzeit University Library

٢. فرض السيطرة الاسرائيلية التامة على انتاج واستخدامات المياه.
٣. حرمان الاقتصاد الفلسطيني من ادوات التراكم الرأسمالي العصرية.
٤. تكريس التشويه في تأهيل الموارد البشرية.

وسنتناول هذه الاجراءات باختصار:

### ١.١ تقليص رقعة الارض المتاحة لتصرف المواطنين الفلسطينيين وحرمانهم من حرية تخطيط وتنظيم استخدام ما يتبقى لهم من هذه الارض:

جردت سلطات الاحتلال الشعب الفلسطيني من اكثر من ٥٢٪ من مساحة الضفة الغربية واكثر من ثلث مساحة قطاع غزة (١) . وقد حققت ذلك بواسطة الاستيلاء على الاراضي الاميرية وبالمصادرة والاغلاق والبيوعات المزيفة . كما لجأت سلطات الاحتلال الى وضع وتنفيذ خطط استخدامات الارض وفق المصالح الجيوستراتيجية والاقتصادية الاسرائيلية ، ودونما اي التفات لمصالح الشعب الفلسطيني . وقد ادى هذا الى حرمان هذا الشعب من حرية ترشيد استخدام ما يتبقى لديه من الارض .

وكانت نتائج السياسات والممارسات الاسرائيلية تجاه الارض من الناحية الاقتصادية ، حرمان الشعب الفلسطيني من جزء هام من الاراضي الزراعية الخصبة ، وحرمانه من مساحات واسعة من المراعي ، واضطراره احيانا لاستخدام الاراضي الزراعية لاغراض البناء.

### ٢.١ السيطرة الاسرائيلية التامة على المياه:

فرضت سلطات الاحتلال احتكارها على انتاج المياه ، وشددت رقابتها على ابار الانتاج العربية التي كانت قائمة . وتمكنت بواسطة ذلك من استنزاف ما يزيد على ٤٥٠ مليون متر مكعب من مياه الضفة الغربية سنويا ، اي ما يزيد على ٧٨٪ من مخزون المياه المتجددة فيها (٢) ، كما تقوم بنهب ما بين ٣٠ - ٦٠ مليون متر مكعب سنويا من مياه قطاع غزة (٣) ، اي ما يقرب من ثلث مخزون المياه المتجددة فيها . اما ما تتركه سلطات الاحتلال لاستخدامات المواطنين العرب المختلفة فلا يزيد عن ١٢٠ مليون متر مكعب في الضفة الغربية و١٠٠ مليون متر مكعب في قطاع غزة .

كان من ابرز نتائج السيطرة والنهب الاسرائيليين لمياه المناطق المحتلة جمود وتقلص المساحة الزراعية المروية ، ووضع عقبات امام تكثيف الانتاج الزراعي وبقاء العديد من القرى بدون شبكات مياه للشرب ، وشح المياه في المدن ايضا.

### ٣.١ حرمان الاقتصاد الفلسطيني من ادوات التراكم الرأسمالي:

كان من اولى الخطوات التي اتخذتها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة اغلاق البنوك والمصارف العربية التي كانت تعمل فيها ، ومنع قيام اية مؤسسات مالية فلسطينية للقيام بالوظائف المصرفية . وكان لهذا الاجراء نتائج اقتصادية فادحة،حيث حرمت المناطق المحتلة من ادوات



Digitized by Birzeit University Library

ووسائل تراكم رأس المال التي لا غنى عنها لتطور الاقتصادات المعاصرة . فكل اقتصاد معاصر ، خصوصا الاقتصادات النامية ، يحتاج الى ادوات لتجميع المدخرات الفردية الخاصة المشتتة في المجتمع ، واعادة ضخها في الاقتصاد على شكل جرعات استثمارية كبيرة . وهذه الوظيفة التي تقوم بها البنوك ، تعمل على تنمية المدخرات القومية وتسرع عملية التراكم الرأسمالي . ناهيك عن الدور الارشادي والترشيدي الذي تقوم به البنوك في استخدام المدخرات القومية . وبدون وجود الجهاز المصرفي الوطني ، فان من العسير على المدخرات الفردية الصغيرة المشتتة على نطاق المجتمع ان تشق طريقها الى استثمارات محلية منتجة وناجعة ، وفي الحالات التي تنجح فيها بعض المدخرات الفردية في التحول الى استثمارات ، فان هذه العملية تحتاج الى وقت طويل نسبيا ، وغالبا ما يتحكم حجم رأس المال في هذه الحالة في حجم المشروع وموضوعه وهذا ما يناقض اسس الجدوى الاقتصادية السليمة في احيان كثيرة.

بالاضافة الى ذلك ، فان فقدان ادوات تجميع المدخرات ، وحفظ قيمتها من التآكل تحت تأثير التضخم ، يدفع اصحابها عادة للتخلص السريع منها اما بتهريبها الى الخارج او تبديدها في اوجه استهلاكية او اكتنازها في المعادن الثمينة ، ولا شك في ان لجميع هذه الاستخدامات للمدخرات اثار سلبية على الاقتصاد الوطني .

من المعروف ان فتح البنوك الاسرائيلية فروع لها في المناطق المحتلة كان يهدف الى تسهيل مهمة ارباب العمل الاسرائيليين في السيطرة على سوقها ، وبغرض تسهيل مهمة السلطات الاسرائيلية في جباية الضرائب ودفع المرتبات للعاملين في الجهاز والخدمات السلطوية .

وفي حين فتحت هذه البنوك الباب على مصراعيه لمدخرات المواطنين ، فانها لم تفتح المجال مطلقا للتسهيلات الائتمانية والقروض الا في نطاق محدود جدا وبشروط عسيرة.

اما السماح لفروع بنك القاهرة عمان الاردني بمزاولة نشاطها في المناطق المحتلة ، فقد جاء مقيدا بشروط وتعليمات جعلت منه عمليا اداة لاستقبال المدخرات المحلية ولتسهيل حركة هذه المدخرات بين الاردن والمناطق المحتلة في كلا الاتجاهين . واداة لدفع رواتب موظفي الحكومة الاردنية العاملين في المناطق المحتلة ولجباية ديونها على المواطنين .

يمكن تلخيص نتائج حرمان المناطق المحتلة من ادوات التراكم الرأسمالي في ضعف المدخرات المحلية وسوء استخدامها وتسربها خارج نطاق اقتصادها . وحرمان ارباب العمل والمستثمرين الفلسطينيين من التسهيلات الائتمانية الضرورية للنشاط الاقتصادي . ويمكن الحديث هنا عن توسع النشاط التجاري الربوي الذي حاول ملءالفراغ الناجم عن غياب المصارف الوطنية بدون نجاح يذكر.

**٤٠١ تكريس التشويه في تأهيل الموارد البشرية:**

لتأهيل الموارد البشرية دور رئيسي في التطور الاقتصادي الاجتماعي. ويعتمد هذا التأهيل عادة على التعليم في مختلف مراحله . وعلى التعليم ان يتطور بالتوافق مع التطور الاقتصادي والاجتماعي ، بحيث يستطيع تقديم قوى بشرية مؤهلة للارتباط بالنشاط الاقتصادي والاجتماعي المحلي.

وتتميز الموارد البشرية في ان عدم تأهيلها وتدريبها بصورة متلائمة مع حاجات التطور



Digitized by Birzeit University Library

الاقتصادي والاجتماعي يجلب خسائر مضاعفة على الاقتصاد والمجتمع . ففي حين يقود عدم استغلال الموارد المادية الى هدر في الطاقة الانتاجية ، فان اهمال الموارد البشرية او تعليمها وتأهيلها بصورة خاطئة لا يعني هدرا في طاقتها الانتاجية وحسب ، بل ويجعل منها عبئا ثقيلا على المجتمع والاقتصاد الوطني . فالانسان يختلف عن بقية الموارد في انه منتج ومستهلك ايضا ، واذا لم يدرب ويؤهل بشكل يمكنه من انتاج خيرات مادية بصورة تفوق حاجاته ، فانه يتحول الى عالة على المجتمع.

وتتلخص ممارسة سلطات الاحتلال نحو تعليم وتدريب الموارد البشرية الفلسطينية في المناطق المحتلة ، في انها عملت على تكريس التشويه الموروث من عهد الحكم الاردني للضفة الغربية والادارة المصرية في قطاع غزة . فقد وجدت هذه السلطات ان السياسة التعليمية الموروثة تلبي مخططاتها على اكمل وجه. وكان تدخلها فقط في حذف كل ما يمس اسرائيل والمشروع الصهيوني من الناحية السياسية والتاريخية .

فالسياسة التعليمية الاردنية في الضفة الغربية ، والمصرية في قطاع غزة ، ويشمل ذلك السياسة التعليمية لوكالة الغوث الدولية ايضا ، كانت تهدف الى تخريج افواج من التلاميذ المؤهلين للتصدير والعمل ككتبة وموظفين ومعلمين في الادارات الحكومية العربية، او المؤهلين للالتحاق بالجامعات ومن ثم للعمل في الخارج ايضا. وبذا فقد افتقرت الضفة الغربية وقطاع غزة بصوره واضحة للتعليم المهني الزراعي والصناعي. وخلت برامج التعليم والمناهج في المدارس الاعدادية والثانوية من الاهتمام بتحسين المهارات الانتاجية بصورة تمكن الخريجين من تحقيق قوة عملهم بصورة سريعة وفعالة في اقتصادهم المحلي . كما ان فلسفة التعليم كانت ترسخ موقفا سلبيا تجاه العمل المهني ايضا.

كانت السياسة التعليمية تلك متلائمة تماما مع اهداف سلطات الاحتلال ، حيث استمرت هذه السياسة في تخريج الافواج من التلاميذ المؤهلين لترك وطنهم . كما تساهلت مع توسع التعليم الجامعي الذي يخدم نفس الغرض.

ورغم ان المحاولات الجدية المحلية لتغيير هذا الواقع كانت محدودة جدا ، فان سلطات الاحتلال ما كانت مستعدة لتقديم اي تنازل. وعلى سبيل المثال فقد وقفت هذه السلطات بشدة امام محاولة جامعة النجاح الوطنية في نابلس لانشاء كلية للزراعة . وعندما اصطدمت مصالحها الاقتصادية بنظام التعليم القائم ، لجأت الى فتح معاهد التدريب المهني المرتبطة بمكاتب العمل والاستخدام ، لعمل دورات تدريب وتأهيل سريعة للقوى العاملة لتسهيل عملها في المنشآت الاسرائيلية.

كان نتاج السياسة الاسرائيلية تجاه التعليم ترسيخ وزيادة التشويه في تأهيل القوى البشرية الفلسطينية . الامر الذي ادى الى استمرار الهدر الاقتصادي في استخدامها محليا ، وفي تسهيل هجرتها للعمل في الخارج.

## ٢ - التحكم في اوجه الاستثمار

فرضت سلطات الاحتلال رقابتها المباشرة على اوجه الاستثمار في المناطق المحتلة بواسطة امتلاكها حق الموافقة او الرفض لاي مشروع استثماري في كافة مجالات النشاط الاقتصادي. فكل



Digitized by Birzeit University Library

شركة او مؤسسة اقتصادية في مجالات الصناعة والزراعة والسياحة والتجارة تحتاج الى ترخيص مسبق من قبل دوائر الحكم العسكري المختصة . وعادة ما تعطى او ترفض طلبات الترخيص وفقا للمصالح الاقتصادية والسياسية لسلطات الاحتلال. وعادةما ترفض المشاريع التي من شأنها تقوية القاعدة الانتاجية الفلسطينية او التي تهدد المصالح الاقتصادية الاسرائيلية ، فعلى سبيل المثال رفض ترخيص مصنع للاسمنت في الخليل ، ورفضت كافة المشروعات المتعلقة بانتاج الطاقة الكهربائية والمياه وفي مجالات زراعية متعددة ايضا . كما رفض العديد من مشروعات الاسكان التعاونية وترفض سنويا الوف رخص البناء والانشاءات.اما المشروعات التي لا تتعارض والمصالح الاقتصادية والسياسية الاسرائيلية فان سلطات الاحتلال لم تعترض عليها ، بل سهلت عملية ترخيصها وتضخمها بصورة كبيرة كما حدث في المحاجر ومناشير الحجر ومواد البناء الاخرى ، وكذلك الامر بالنسبة للصناعات التي فضل ارباب العمل الاسرائيليون نقلها للمناطق المحتلة كما في صناعة الملابس والنسيج والاحذية.

## ٣ - الرقابة عل التجارة الخارجية للمناطق المحتلة:

فرضت سلطات الاحتلال رقابة مشددة على تجارة المناطق المحتلة الخارجية ، حيث منعت التصدير المباشر للمنتجات الفلسطينية الى اوروبا الغربية . ورغم ادعائها مؤخرا لضغوط المجموعة الاوروبية الا انها ما زالت تضع العديد من العراقيل لافشال هذه العملية .

سمحت سلطات الاحتلال وشجعت التصدير عبر الجسور الا ان الرسوم المفروضة على تصاريح التصدير للشاحنات والسائقين وتكاليف التفتيش واجراءات العبور على الجسور تقلص بصورة ملموسة من عوائد التصدير.

كما تسمح سلطات الاحتلال بتصدير حمضيات قطاع غزة الى اسواق اوروبا الشرقية . الا ان صعوبات عديدة تحول دون الافادة بصورة ملموسة من هذه الاسواق.

اما الاستيراد من الخارج فان الاجراءات الاسرائيلية تحول دون الاستيراد الواسع عبر الجسور وتعقد عمليات الاستيراد المباشر عبر الموانيء الاسرائيلية . مما يضطر المؤسسات الصناعية والتجارية الفلسطينية اللجوء لوساطة الشركات الاسرائيلية . وهذا ما يكبدهم نفقات اضافية.

## ٤- الاهمال المتعمد لتطوير البنية التحتية ومنع تطوير بنية تحتية فلسطينية مستقلة:

اهملت سلطات الاحتلال بصورة ملموسة تطوير البنية التحتية الضرورية لتحسين المناخ الاستثماري وتوسع النشاط الاقتصادي في المناطق المحتلة . ومن خلال احتكارها لتخطيط استخدام الارض وانتاج الطاقة والمياه والاتصالات ، فقد جعلت تطوير البنية التحتية رهنا بارادتها . وهي لم تكتف بعدم قيامها بواجبها نحو تطوير البنية التحتية ، الذي يعتبر من الوظائف الرئيسية للسلطة القائمة ، بل انها تعرقل واحيانا تمنع المؤسسات الوطنية والافراد من تطوير البنى التحتية الضرورية لحياتهم ولنشاطهم الاقتصادي. فهي تمنع تطوير انتاج الطاقة وبناء مشاريع الري وتمنع البلديات من توسيع مناطقها التنظيمية كي يتسنى لها اقامة مناطق صناعية مناسبة



Digitized by Birzeit University Library

وغيرها من الاجراءات.

في المقابل قامت السلطات المحتلة باقامة بنية تحتية كاملة من طرق وشبكات كهرباء ومياه واتصالات لخدمة المستوطنات في المناطق المحتلة . وقد اقيمت هذه البنية دون اية مراعاة لمصالح وموارد المواطنين الفلسطينيين وبصورة تجعل انتفاعهم منها محدود جدا. وغالبا ما خططت البنية التحتية للمستوطنات بصورة تضر بمصالح المواطنين الفلسطينيين . فشقت الطرق السريعة وخطوط المياه والكهرباء في الاراضي الزراعية وبمحاذاة المدن والقرى لوقف توسعها وتطويقها.

## ثانيا - السوق:

تعتبر السوق القناة الرئيسية الثانية التي ينتقل عبرها تأثير الاحتلال على التطور الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة . ان من المعروف ان سلطات الاحتلال وحدت السوق الفلسطينية مع السوق الاسرائيلية بعد احتلالها مباشرة . والحقت هذا التوحيد القسري باجراءات ادارية وقانونية ضمنت فيها حماية ارباب العمل والشركات الاسرائيلية وانكشاف ارباب العمل والمنتجين الفلسطينيين ، مما فرض عليهم مواجهة ومنافسة غير متكافئة مع ارباب العمل والشركات الاسرائيلية .

وتوحيد السوق على تلك الصورة حمل للاقتصاد الفلسطيني نوعين من التأثير . الاول ناجم عن نشاط ارباب العمل والشركات الاسرائيلية بدون قيود ، والنوع الثاني ناجم عن تأثر الاقتصاد الفلسطيني بالتقلبات والتغيرات الاقتصادية التي تحدث في الاقتصاد الاسرائيلي.

### أ - تأثير نشاط ارباب العمل الاسرائيليين:

بسبب الفرق الشاسع في مستوى التطور الاقتصادي بين الاقتصاد الاسرائيلي والاقتصاد الفلسطيني فان توحيد السوق بالشكل الذي تم فيه فرض على الاقتصاد الفلسطيني التبادل مع الاقتصاد الاسرائيلي بشروط مجحفة جدا ، فاقت في سوئها شروط التبادل التي نشأت بين المتروبولات والمستعمرات خلال الحقبة الاستعمارية . فقد كان البعد الجغرافي بين المتروبولات والمستعمرات ، وما يترتب على ذلك من فروق في تكاليف النقل ، يتيح هامشا اوسع لنطاق التميز النسبي في المستعمرات في بعض اوجه الانتاج الزراعية والصناعية ، في حين ان تداخل السوق الاسرائيلية مع السوق الفلسطينية ، وزوال الفروق في تكاليف النقل بين التجارة الداخلية والخارجية ادى الى انعدام اهمية هذه التكاليف كعامل من عوامل التميز النسبي. اضافة الى ذلك ، فان الطبيعة الجغرافية للضفة الغربية وبعدها عن قطاع غزة ، وبسبب شبكة الطرق الاستيطانية الجديدة التي انشأتها سلطات الاحتلال ، والتي زادت من ربط المدن والقرى العربية بالمراكز الصناعية والتجارية الاسرائيلية ، وعدم تطور شبكة الطرق الفلسطينية التي تخدم التجارة الداخلية تحول عنصر تكاليف النقل ضد مصلحة ارباب العمل والمنتجين الفلسطينيين .

اضافة الى اجبار الاقتصاد الفلسطيني على التبادل وفق شروط مجحفة ، فان اتاحة المجال الواسع لنشاط ارباب العمل الاسرائيليين ، وما يتميزون به من مستوى تكنولوجي متقدم



Digitized by Birzeit University Library

وحماية حكومية ، وتسهيلات ائتمانية وموقع احتكاري ، مكنهم من التغلغل في كافة اوجه النشاط الاقتصادي في المناطق المحتلة ، كمزودين لمدخلات الانتاج الزراعي والصناعي ، ومزودين للتجارة الداخلية ، ومشترين رئيسيين لبعض المواد والبضائع التي لا يستطيعون الحصول عليها في السوق الاسرائيلي . وقد منحهم هذا القدرة على التأثير الواسع على بنية واسعار العرض والطلب. وبالتالي منحهم القدرة على التأثير على اوجه الاستثمار وبنية الانتاج ونمط الاستهلاك . ومكنهم من تشويش العلاقة الطبيعية في الاقتصاد الفلسطيني بين الانتاج والاستهلاك،وربطه بعلاقة تبعية مزدوجة مع الاقتصاد الاسرائيلي وجعلت الانتاج الفلسطيني واسع الاعتماد على الطلب الاسرائيلي بينما جعلت الاستهلاك الفلسطيني واسع الاعتماد على العرض الاسرائيلي .

والتبعية المزدوجة تلك مظهر كلاسيكي للتبعية بين المستعمرات والمتروبولات . ولكنها في حالة الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين تتميز ببعض الخصائص الهامة .

اذ بسبب عدم توفر ثروات طبيعية هامة في المناطق المحتلة ، وبسبب منح ارباب العمل الاسرائيليين امكانية استغلال ثروات الشعب الفلسطيني بصورة مباشرة،التي قد تكون سببا في تميزه النسبي ، وبسبب انعدام تأثير نمو تكاليف النقل كما سبق وذكرت ، فان هامش التميز النسبي للمنتج الفلسطيني اصبح في غاية الضيق وانحصر عمليا وبصورة جزئية في نطاق الصناعات او بعض العمليات الصناعية التي تحتاج الى ايدي عاملة كثيفة ، او تلك الصناعات التي لا يوجد لمنتجاتها سوق واسعة ومربحة كبعض الصناعات التقليدية . واقول جزئيا لان امكانية دخول ارباب العمل الاسرائيليين لتلك الصناعات غير مقيدة. فبامكان ارباب العمل المستوطنين في المناطق المحتلة اقامة المحاجر ومناشير الحجر على سبيل المثال او اقامة معاصر الزيتون وصناعة الصابون النابلسي وما شابه ذلك.

كما ان كافة الاجراءات الاسرائيلية المباشرة قادت عمليا الى تقليص هامش التميز النسبي للمنتج الفلسطيني . فعلى سبيل المثال مصادرة الاراضي والسيطرة على انتاج واستهلاك المياه في الاغوار ، مكن المستوطنين الاسرائيليين من انتاج المحاصيل المبكرة ومنافسة المنتجين الفلسطينيين . كما ان القيود الاسرائيلية على اوجه الاستثمار وادوات التراكم الرأسمالي والبنية التحتية والقيودعلى التجارة الخارجية كلها اجراءات ترفع من تكاليف الانتاج وتكبل عملية التطور والتنويع في الانتاج والمنتجات في الضفة الغربية وقطاع غزة .

## ب - تأثر الاقتصاد الفلسطيني بالتقلبات والتغيرات الاقتصادية التي تحدث في الاقتصاد الاسرائيلي

اذ بسبب وحدة السوق ، وبسبب فرض العملة الاسرائيلية كعملة قانونية في المناطق المحتلة ، وازدياد اعتماد هذه المناطق على الاقتصاد الاسرائيلي كمصدر للجزء الاعظم من مدخلات الانتاج والبضائع الجاهزة وكمكان لتحقق نحو ٤٠٪ من قوة العمل الفلسطينية وجزء هام من الناتج الفلسطيني ، فان اية تغيرات في السياسة الاقتصادية الاسرائيلية واية تقلبات تحدث في الاقتصاد الاسرائيلي تنتقل تلقائيا للاقتصاد الفلسطيني . وقد عاش اقتصاد المناطق المحتلة من كل الدورات الاقتصادية التي مر بها الاقتصاد الاسرائيلي دون ان يكون لاقتصاد المناطق المحتلة دور في نشوء هذه التقلبات او قدرة على درء شرها.



Digitized by Birzeit University Library

## الوحدة والتناقض بين تأثير اجراءات الاحتلال المباشرة وتأثير السوق:

على الرغم من تكامل تأثير اجراءات وقيود الاحتلال المباشرة وتأثير السوق على اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة بصورة عامة ، حيث يكمل كل منهما الاخر في تضييق شروط بقاء وتطور الشعب الفلسطيني في ارضه ، واعاقة او منع قيام تشكيلة اقتصادية - اجتماعية فلسطينية مستقلة ، فلا ينبغي اغفال الفروق بين هذين التأثيرين.

فالاجراءات والقيود المباشرة التي يمارسها الاحتلال من موقع السلطة التي تفرض هيمنتها تأخذ تأثيرها المباشر والفوري على التطور الاقتصادي في المناطق المحتلة بصورة سلبية . ومن الصعب ان يكون لهذه الاجراءات والقيود اثار جانبية( by - product ) متعارضة مع اهداف سلطات الاحتلال .

اما تأثير السوق فيمر عادة عبر قوانين الاقتصاد الموضوعية التي لا يمكن لاي سلطة في حالة الاقتصاد الرأسمالي الاحاطة بكل نتائجها . ويتحقق تأثير السوق هذا من خلال سعي ارباب العمل والشركات الاسرائيلية لتحقيق اقصى الارباح،سواء من موقعهم كباعة لمدخلات الانتاج والبضائع الجاهزة او كمشترين لقوة العمل والبضائع الفلسطينية . وهدف تحقيق اقصى الارباح هذا يعتمد على قيمة مبيعاتهم ومشترياتهم في المناطق المحتلة ، وقيمة المبيعات والمشتريات عمليا تتناسب طرديا مع حجم النشاط الاقتصادي فيها ، وبصورة ادق مع انتاجها او دخلها القومي.

بمعنى اخر ، ووفق هذا التحديد ، فان مصلحة ارباب العمل والشركات الاسرائيلية الاقتصادية تلتقي مع زيادة الدخل القومي في المناطق المحتلة،بصرف النظر عن مصادر هذا الدخل سواء نتج في الانتاج المحلي ام في المصادر الخارجية ، على عكس هدف اجراءات الاحتلال الادارية المباشرة التي تسعى لتقليص امكانات بقاء وتطور الشعب الفلسطيني في ارضه بهدف ازاحته عنها. وهذا يعني وقف تطور الناتج القومي وتقليص الناتج المحلي.

وهنا يبرز تناقض شكلي بين المصلحة الانية للاحتلال (الاقتصادية ) وبين مصلحته الاستراتيجية.

المصلحة الانية في تحقيق اقصى الارباح من المناطق المحتلة التي تتمتع بسوق متداخلة مع السوق الاسرائيلية من الناحية الجغرافية ولا توجد اية حواجز تعيق ارباب العمل والشركات الاسرائيلية من البيع والشراء فيها وممارسة كافة انواع النشاط الاقتصادي .والمصلحة الاستراتيجية المستندة للمشروع الصهيوني الذي يسعى الى تقليص امكانات البقاء للشعب الفلسطيني على ارضه. انه عمليا التناقض الشكلي بين طابع الاحتلال كاحتلال كولنيالي استيطاني وكاحتلال نيوكولونيالي.

واعتقد ان هذا التحديد للتداخل والعلاقة بين تأثير السوق وتأثير الاجراءات الاحتلالية المباشرة يساعد في تحقيق فهم افضل لتأثير الاحتلال على التطور الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولفهم فحوى العلاقات الاقتصادية التي نشأت بين الاقتصادين الاسرائيلي والفلسطيني في ظروف الاحتلال.

ينبغي لنا ايضا عدم التقليل من تأثير الموقف الرسمي الاسرائيلي تجاه مستقبل المناطق المحتلة ، والتقلبات التي طرأت عليه ، رغم الاجماع الاسرائيلي الرسمي على الموقف المعادي لحق تقرير



Digitized by Birzeit University Library

المصير للشعب الفلسطيني ومن الدولة الفلسطينية المستقلة . اضافة الى الموقف الرسمي الاسرائيلي من وظيفة الضفة الغربية وقطاع غزة الاقتصادية كجسر بين اسرائيل والعالم العربي عبر الجسور المفتوحة ، الذي حتم درجة معينة من المرونة في تنفيذ عملية التهميش الاقتصادي للمناطق المحتلة.

## ٣. نتائج الاحتلال على الاقتصاد الفلسطيني:

يمكن تلخيص نتائج الاحتلال الاسرائيلي على الاقتصاد الفلسطيني في ثلاث ظواهر رئيسية مترابطة:

ضعف النمو الاقتصادي ، تشويه بنية الاقتصاد ، وتبعية الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة للاقتصاد الاسرائيلي.

وسنحاول توضيح هذه الظواهر بشكل موجز.

### ١.٣ . ضعف النمو الاقتصادي:

مست الاجراءات والقيود الاسرائيلية كما اوضحنا جميع مصادر نمو اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة . حيث خضع قسم منها للتقليص المباشر كما حدث بالنسبة للارض والمياه والموارد البشرية وخضع عنصر رأس المال للتضييق والتقييد . وادى الاحتلال وما واكبه من تغيرات في ظروف التطور الاقتصادي الى ترد كبير في المناخ الاستثماري في مختلف اوجه النشاط الاقتصادي ، وبوجه خاص في الصناعة والزراعة وانتاج الطاقة والبناء. ويبرز تردي المناخ الاستثماري في عدد من الظواهر اهمها ضيق مجالات الاستثمار ، ارتفاع تكاليف الاستثمار ، وبطء التراكم الرأسمالي وارتفاع درجة المخاطرة.

ولو انتقلنا الى الاحصاءات حول مؤشرات النمو الاقتصادي الرئيسية يمكن ملاحظة ثلاث مراحل:

اولا: مرحلة النمو السريع نسبيا والتي امتدت حتى اواسط السبعينات ، حيث تبين الاحصاءات ارتفاعا كبيرا في كافة مؤشرات الحسابات القومية ، الناتج القومي ، الناتج المحلي ، الاستهلاك ، الاستثمار . ويمكن توضيح العوامل الرئيسية التي كانت مسؤولة عن ذلك :

أ - ان جزء كبيرا من الزيادة التي سجلتها الاحصاءات حول نمو المؤشرات الرئيسية لا يرجع بالفعل الى زيادة حقيقية ، وانما يرجع لعملية تسريع رسملة اقتصاد المناطق المحتلة وزيادة الاعتماد على السوق . وقد واكب هذه العملية تدمير واسع وسريع للاقتصاد الطبيعي المنفصل عن السوق ، والذي لا يدخل عادة في الاحصاءات . وتسريع الرسملة وتدمير الاقتصاد الطبيعي ، الذي قد تواكبه زيادة حقيقية في الناتج القومي بسبب الافضلية الاقتصادية لنمط الانتاج الرأسمالي بالمقارنة مع الانتاج الطبيعي، يعني زج الموارد المادية والبشرية التي لم تكن نتائج عملها تحسب في الناتج القومي في انواع النشاط الاقتصادي التي تدخل في حسابات الدخل القومي. وعلى سبيل التوضيح فان عشرات الالوف من الفلاحين الفقراء الذين كانوا يعيشون من الزراعة قبل الاحتلال وكانت نتائج عملهم لا تظهر في السوق ولا تحسب في الناتج القومي زجت للعمل في



Digitized by Birzeit University Library

المنشآت والشركات الاسرائيلية واصبحت اجورهم تدخل في هذا الناتج.

ب- تحت تأثير ظروف تسريع الرسملة في اقتصاد المناطق المحتلة ، جرى القضاء بصورة ملموسة على البطالة الموسمية والمقنعة ، والتي كانت متفشية عشية عدوان حزيران ١٩٦٧، حيث ادى نهم ارباب العمل الاسرائيليين في استغلال الايدي العاملة الفلسطينية الرخيصة الى فتح مجالات واسعة امام عشرات الالوف من القوى العاملة الفلسطينية ، الامر الذي رفع بصورة ملموسة من مؤشرات النمو الاقتصادي.

ج - كما ادى تسريع الرسملة الى ضرورة تنجيع الاداء الاقتصادي،فتحت ضغط السوق والمنافسة الشديدة التي واجهت المنتجين الفلسطينيين اصبح من غير الممكن لارباب العمل الفلسطينيين البقاء في السوق بوسائل الانتاج وانماط التكنولوجيا وطرق العمل المتخلفة . الامر الذي ترك اثره ايضا على رفع معدلات النمو الاقتصادي.

د - ساعدت بصورة او باخرى في تسريع النمو الاقتصادي في المناطق المحتلة ، حالة الازدهار التي عاشها الاقتصاد الاسرائيلي في اعقاب عدوان حزيران ١٩٦٧ . حيث ازداد الطلب على العمل وعلى بعض منتجات المناطق المحتلة . كما ان عملية تضييق الخناق على الاقتصاد الفلسطيني بصورة واسعة لم تكن قد بدأت بعد. فخلال تلك الفترة كانت سلطات الاحتلال تقدم الدعم للتصدير ، ولم تكن قد بدأت في جباية الضرائب وغيرها.

ثانيا : مرحلة جمود النمو الاقتصادي والتي امتدت من منتصف السبعينات وحتى اوائل الثمانينات . وقد حقق الاقتصاد الفلسطيني خلال تلك الفترة معدلات نمو متواضعة بالمقارنة مع الفترة السابقة . وترجع اسباب ذلك للعوامل التالية:

أ) بدأت في هذه الفترة عملية التضييق الواسعة لمصادر نمو الاقتصاد الفلسطيني خصوصا بعد استلام الليكود للسلطة . وبدأت تظهر نتائج هذا التضييق على نمو الاقتصاد الفلسطيني.

ب) ولكن الارتفاع الكبير في اسعار النفط وحالة الازدهار في النشاط الاقتصادي في الدول العربية المحيطة ، وازدياد التحويلات والمساعدات العربية التي دخلت المناطق المحتلة ، تمكنت من زيادة النشاط الاقتصادي فيها وتخفيف تأثير الاجراءات والقيود الاسرائيلية . الامر الذي ساعد في الحفاظ على مستوى جيد للنشاط الاقتصادي ، وعلى معدلات نمو موجبة.

ثالث :مرحلة الركود والتراجع والتي بدأت عمليا منذ عام ١٩٨٢ / ١٩٨٣ وما زالت مستمرة . حيث بدأت مرحلة الركود والتراجع في كافة المؤشرات الاقتصادية الكلية تحت تأثير التغيرات التالية:

أ) تفاقم تأثير عملية تقليص مصادر النمو التي ثابرت عليها سلطات الاحتلال .

ب) الازمة الاقتصادية الخانقة التي بدأت تعصف بالاقتصاد الاسرائيلي وانعكست سلبا وبصورة حادة على اقتصاد المناطق المحتلة التي اصبح اقتصادها في حالة ارتباط تبعي مع الاقتصاد الاسرائيلي . حيث بات نحو ٤٠٪ من قواه العاملة تعتمد على العمل في اسرائيل واصبحت اسرائيل السوق الخارجية الرئيسية من جهة التصدير والاستيراد.

ج) اما التغير الهام الثالث فهو دخول اقتصادات الشرق العربي حالة ركود بسبب انخفاض اسعار النفط والحرب العراقية الايرانية.



Digitized by Birzeit University Library

لدى مقارنة معدلات النمو في المؤشرات الرئيسية التي حققها اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة خلال العقدين المنصرمين مع معدلات نمو الاقتصاد الاردني ومعدلات نمو الاقتصادات النامية ، نلاحظ ان الاولى تخلفت بصورة ملموسة ، خصوصا بعد منتصف السبعينات . فعلى سبيل المثال كان متوسط الناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية خلال الفترة ٨٢ - ٨٥ . باسعار ١٩٧٦ الثابتة ٧٢٤ر٤ مليون دولار بالمقارنة مع ٧٫٢ر٥ مليون دولار كمتوسط سنوي للفترة ٧٨ - ٨١ اما في قطاع غزة فقد بلغ ١٨٧ر١ مليون دولار بالمقارنة مع ٢٫٨ر٣ مليون دولار لنفس الفترة وبذات الاسعار . (٤)

كما ان الناتج القومي الاجمالي الحقيقي في الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٨٥ كان اقل مما كان عليه عام ١٩٧٩، ومساويا لما كان عليه خلال الاعوام ١٩٨٠ ، ١٩٨١ . اما الناتج المحلي الاجمالي الحقيقي للضفة الغربية وقطاع غزة فقد وصل عام ١٩٨٥ الى اقل مما كان عليه عام ١٩٧٨(٥). ونلاحظ ايضا ارقاما مماثلة بالنسبة للدخل القومي للفرد والناتج المحلي الاجمالي للفرد التي هبطت قيمتها الحقيقية خلال الاعوام الاخيرة عن المستوى الذي كانت عليه خلال الاعوام الاخيرة من السبعينات .

## ٢.٣. تشويه بنية الاقتصاد الفلسطيني:

طرأ تشويه كبير في بنية اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة خلال العقدين المنصرمين. وابرز مظاهر هذا التشويه:

اولا: هبوط اهمية القطاعات الانتاجية في تكوين الناتج المحلي وخصوصا القطاع الزراعي الذي تقهقرت مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي من ٣٤٪ خلال الفترة ٧٠ - ٧٣ الى ٢٣٪ خلال الفترة ٨٤ - ٨٦. اما القطاع الصناعي فقد بقي اضعف القطاعات من حيث اهميته ومساهمته في الناتج المحلي التي ظلت في حدود ٨٪ من هذا الناتج طوال العقدين المنصرمين.(٦)

ثانيا: وعلى حساب القطاعات الانتاجية تعززت اهمية ونسبة مساهمة قطاع التوزيع - النقل والتجارة والخدمات الخاصة ، التي توسعت على خلفية الوساطة بين الاقتصاد الاسرائيلي والمستهلك الفلسطيني . واصبح هذا القطاع الاول من حيث اهميته ومساهمته في تكوين الناتج المحلي ، وتضخم بصورة اكثر بروزا في الضفة الغربية . (٧)

ثالثا: من التشوهات الهامة التي برزت تحت تأثير الاحتلال في بنية القطاعات كانت التغيرات في القطاع الصناعي حيث تضخمت بعض الفروع وضمرت او تلاشت فروع اخرى. فتحت تأثير الطلب الاسرائيلي تزايدت صناعة المحاجر ومناشير الحجر وبعض مواد البناء الاخرى . كما تضخمت صناعة النسيج وخياطة الملابس وصناعة الاحذية التي تعمل لصالح ارباب العمل الاسرائيليين،الذين يمسكون بيدهم حلقة التكنولوجيا والابتكار والتزويد بمدخلات الانتاج وتسويق الناتج . في حين ظلت بقية فروع الصناعة راكدة . ولم تظهر صناعات جديدة خصوصا في مجال تصنيع الاغذية والصناعات المعدنية وفي فروع الصناعة الجديدة ، حتى الصناعات القائمة في هذه الفروع فتعمل باقل من نصف طاقتها الانتاجية.(٨)



Digitized by Birzeit University Library

## ٣.٣ تبعية اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة للاقتصاد الاسرائيلي :

ادى اضعاف وتشويه التطور الى وضع اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة في حالة تبعية شديدة للاقتصادات الخارجية بوجه عام وللاقتصاد الاسرائيلي بوجه خاص. واصبحت التبعية ذاتها اداة للاضعاف ولتعميق التشويه وترسيخه . فاضعاف النمو الاقتصادي ادى الى خلق فائض كبير من الايدي العاملة الفلسطينية الباحثة عن العمل ، والمضطرة للبحث عنه خارج نطاق اقتصادها . وقد اضطر عشرات الالوف منهم الى الهجرة للخارج ، بينما اضطر الباقون الى دخول سوق العمل الاسرائيلي .

كما ان اضعاف النمو الاقتصادي وتشويه التطور قلص من القدرة الانتاجية للاقتصاد وحد من تنوعها لتلبية الحاجات المحلية من المنتجات . الامر الذي زاد من الاعتماد على السوق الاسرائيلي لتلبية حاجات المواطنين والاقتصاد من المواد الاستهلاكية ومدخلات الانتاج.

اضافة الى ذلك ، فان القيود على الاستثمار وعملية التحكم فيه وتوجيهه نحو الجيوب الصغيرة والضيقة لمصلحة الاقتصاد الاسرائيلي ادى الى تزايد عدد المنتجين وارباب العمل الفلسطينيين الذين يعتمدون بصورة كبيرة او تامة على تسويق منتجاتهم في السوق الاسرائيلي او بواسطته اما مباشرة كما هو الحال في بعض مدخلات البناء والتشييد،او بواسطة الشركات الاسرائيلية كما هو شأن مصانع النسيج والخياطة والاحذية.

ولاعطاء صورة موجزة عن حالة التبعية التي يعاني منها اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة نورد المعطيات التالية:

١) ارتفعت نسبة دخل عناصر الانتاج الفلسطينية العاملة في الخارج في الدخل القومي من ٧ر١٦٪ خلال الفترة ٧٠ - ٧٣ الى ٢ر٢٥٪ خلال الفترة ٨٢ - ٨٥ في الضفة الغربية . ومن ٩ر٢٠٪ الى ٣ر٤٢٪ في قطاع غزة لنفس الفترة . وتشكل اجور العاملين الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة في اسرائيل اكثر من نصف هذا الدخل. (٩)

٢) ارتفعت نسبة الاستهلاك الخاص الى الناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزة من ٣ر١٠٧٪ خلال الفترة ٧٠ - ٧٣ الى ١١٣٪ خلال الفترة ٨٢ - ٨٥. ويعود هذا بالدرجة الاولى الى التدهور في القيمة الحقيقية للناتج المحلي في قطاع غزة ، مما جعل هذه النسبة فيه ترتفع من ٣ر١٠٤٪ الى ٣ر١٣٠٪ لنفس الفترة المذكورة . اما في الضفة الغربية فقد تحسنت هذه النسبة بشكل طفيف من ١٠٩٪ الى ١٠٧٪ لنفس الفترة ايضا.(١٠)

٣) ارتفعت نسبة الواردات الى الناتج المحلي الاجمالي من ٦٧٪ خلال الفترة ٧٠ - ٧٣ الى ٧٧٪ خلال الفترة ٨٢ - ٨٥ في الضفة الغربية ومن ٨٢٪ الى ١٣٨٪ في قطاع غزة لنفس الفترة ، اما بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة فقد ارتفعت هذه النسبة لنفس الفترة من ٧٢٪ الى ٥ر٩٢٪. واذا عرفنا ان نحو ٩٠٪ من مستوردات المناطق المحتلة تأتي من اسرائيل ، يمكن تصور مستوى الاعتماد على الاقتصاد الاسرائيلي كمزود للمناطق المحتلة بحاجات الاستهلاك ومدخلات الانتاج.(١١)

٤) اما بخصوص الاعتماد على التصدير فقد ظلت نسبة الصادرات الى الناتج المحلي الاجمالي ثابتة تقريبا بالنسبة للضفة الغربية وتراوحت بين ٢٨ - ٣١٪ طيلة العقدين الماضيين بينما تزايدت



Digitized by Birzeit University Library

هذه النسبة في قطاع غزة من ٤٣٪ الى ٥٤٪ ما بين الفترتين ٧٠ - ٧٣ و ٨٢ - ٨٥. وكانت اعلى من ذلك حيث بلغت نحو ٦٠٪ خلال الفترة ٧٨ - ٨١ . وتزايد الاعتماد على السوق الاسرائيلي حيث اصبح يستوعب اكثر من نصف صادرات الضفة الغربية ، وقد استوعب نحو ٦٥٪ من صادراتها عام ١٩٨٦ . اما قطاع غزة فيبيع اكثر من ٨٠٪ من صادراته في السوق الاسرائيلية ، وقد باع ٨٥٪ في هذا السوق عام ١٩٨٦. (١٢)

## ٤. الوضع الاقتصادي والانتفاضة :

كانت نتائج الاحتلال على اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة نتائج كارثية ، لخصناها في ثلاثة ظواهر رئيسية : ضعف النمو الاقتصادي ، تشويه بنية الاقتصاد ، التبعية الشديدة والمتشعبه للاقتصاد الاسرائيلي . وجميع هذه الظواهر تؤكد نجاح الاحتلال في تسخير اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتسييره بما يتلائم ومصالحه الاقتصادية ، وبما لا يمس او يتعارض مع مصالحه الاستراتيجية . وكان البعض قد خرج بالاستناد الى نجاحات الاحتلال هذه باستنتاجات متسرعة وخطيرة . اذ ايقن ان سياسة الامر الواقع التي تمارسها سلطات الاحتلال لا يمكن دحرها ، وان هدف الشعب الفلسطيني في تحقيق الاستقلال السياسي بات من وقائع التاريخ . وبرز ذلك في الشعارات التي رفعت ونودي بها ، كشعار انقاذ ما يمكن انقاذه ، وشعار استغلال الفرصة الاخيرة لان الوقت يسير في غير صالح الشعب الفلسطيني . وتنسجم مع ذلك التصريحات التي اعلنت عن رغبة اصحابها في الترشيح لانتخابات بلدية القدس ، وتلك التي رأت في ضم المناطق المحتلة لاسرائيل ومشاركة الشعب الفلسطيني في انتخابات الكنيست الاسرائيلي كخيار ممكن لحل القضية الفلسطينية .

لقد اثبتت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الاخيرة والمستمرة ، زيف وخطأ الاستنتاجات والشعارات التي بنيت على اساس المبالغة في اهمية نجاحات الاحتلال في الجانب الاقتصادي . فقد ترافقت تلك النجاحات مع تفاقم التناقض التناحري بين الاحتلال والشعب الفلسطيني ، الامر الذي ادى لانفجار الانتفاضة بهذا الزخم وذلك الشمول والاتساع .

وبينت الانتفاضة ان بعض تلك النجاحات تحول ، تحت تأثيرها ، الى عبء ثقيل على الاحتلال وعلى الاقتصاد الاسرائيلي بدل ان تكون عوائق في طريق كفاح الشعب الفلسطيني . فعلى سبيل المثال ادى الاعتماد الكبير لفرعي البناء والنسيج وبعض الخدمات على عمال الضفة الغربية وقطاع غزة الى وضع هذه الفروع على شفا الانهيار . كما تكبدت معظم الشركات الاسرائيلية التي تعتمد بشكل واسع على تسويق منتجاتها في الضفة وغزة خسائر فادحة . ورغم التكتم الشديد الذي تبديه الدوائر الاسرائيلية حول خسائرها بسبب الانتفاضة ، فان ما تسرب منها حتى الان يعطي دلالات واضحة على ذلك .

وبصدد علاقة الانتفاضة بالوضع الاقتصادي يبرز السؤال التالي :الم تكن الانتفاضة نتيجة لتردي الوضع الاقتصادي؟

فهناك من يقول ان ممارسات الاحتلال ونتائجه كانت ذات عواقب وخيمة على الاقتصاد الفلسطيني وعلى الشعب الفلسطيني. فقد تضررت كافة الطبقات والشرائح الاجتماعية الفلسطينية الامر الذي راكم لديها النقمة والغضب الذي فجر انتفاضة كانون الاول.



Digitized by Birzeit University Library

بالاستناد الى هذا المنطق يحاول البعض الصاق اسباب الانتفاضة بتردي الوضع الاقتصادي ، وهنا نجد من جديد المنطق ذاته الذي يبالغ في اهمية الجانب الاقتصادي في الصراع مع الاحتلال ويبني استنتاجاته على ضوء التطورات فيه. ورغم الفرق الكبير بين الاستقراء الاول والاستقراء الثاني للوضع الاقتصادي ، فان كلاهما يقع في ذات الخطأ ، وهو عدم ادراك جوهر التناقض مع الاحتلال وعدم رؤية اوجه تفاعلات التناقضات الفرعية مع التناقض الرئيسي . فجوهر التناقض الرئيسي انه تناقض سياسي في الاساس بين الاحتلال الاسرائيلي كتجسيد للسيطرة السياسية الاجنبية بالقوة على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبين الشعب الفلسطيني الذي يرفض هذا الاحتلال ويقاومه ويسعى الى ازالته واحراز حقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة بقيادته السياسية الواحدة منظمة التحرير الفسلطينية . ورغم تأثير الجانب الاقتصادي من الصراع فان حسم نتيجته لاي طرف من طرفي الصراع لا يحل التناقض الرئيسي. وكذلك الامر فان نتيجة الصراع في الجانب الاقتصادي لا يمكن ان تشكل بصورة مباشرة ومستقلة السبب في تصاعد او هبوط النضال الوطني .

بشكل عام لا يمكن ايجاد علاقة عامة وثابتة ومستقلة بين حالة الوضع الاقتصادي والنضال التحرري . بمعنى انه ليس بالضرورة ان يقود تحسن او تردي الوضع الاقتصادي الى خمود او تصاعد النضال التحرري . فالنضال التحرري قد يتصاعد بغض النظر عن حالة الوضع الاقتصادي. واذا كان لا بد من ايجاد علاقة الوضع الاقتصادي بالانتفاضة الفلسطينية الحالية فيجب المعالجة على اساس الوضع الملموس.

لم يكن تردي الوضع الاقتصادي السبب في الانتفاضة الاخيرة ، ولكن تأثيره كان كبيرا على اتساعها وشمولها من جهة وعلى الية تطورها من جهة اخرى.

فتردي الوضع الاقتصادي الناجمة عن الاحتلال لم يستثن في تأثيره اية طبقة او شريحة اجتماعية فلسطينية ، وترك اثره في المدينة والريف والمخيمات على حد سواء ، الامر الذي قاد الى اوسع مشاركة جماهيرية ايجابية في الانتفاضة الاخيرة . وقد ادت ممارسات الاحتلال واثاره في الجانب الاقتصادي التي مست المصالح الاقتصادية لمختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية الى تعميق الادراك بان الاحتلال لا يترك اية امتيازات لاي منها ، الامر الذي عمق من تمسكها بهدف الاستقلال السياسي وزاد من استعدادها ومشاركتها في النضال من اجل تحقيقه. بمعنى اخر قادت ممارسات الاحتلال وتأثيراته الى تخفيف حدة التناقض بين المصالح الانية المباشرة لبعض الفئات والشرائح الاجتماعية الفلسطينية ، وبين المصلحة الوطنية لجميع الشعب الفلسطيني . الامر الذي برز في الوحدة والاجماع الجماهيري الذي لم تشهد المناطقا لمحتلة لهما مثيلا من قبل.

اما تأثير الوضع الاقتصادي على الية تطور الانتفاضة ، فقد برز في عملية التدرج والتسلسل في مسارها. اذ ان التغيرات الاقتصادية التي نشأت خلال العقدين المنصرمين على الصعيد الاقتصادي الاسرائيلية ومقاطعة العمل في اسرائيل. بسبب الاعتماد الكبير على السوق الاسرائيلي كمزود لسلع الاستهلاك الاساسية ، وبسبب عدم امكانية توفير فرص عمل لاستيعاب العمال الذين فرضت درجة معينة من المرونة في تطبيق بعض الممارسات النضالية. مثل مقاطعة البضائع يعملون في اسرائيل.



Digitized by Birzeit University Library

## ٥. تلخيص وملاحظات ختامية:

١) يجري تشكل الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة عبر الصراع بين عوامل الهدم المرتبطة بالاحتلال الكولونيالي - الاستيطاني والنيوكولونيالي ، وبين عوامل البناء المرتبطة بالنشاط الاقتصادي للشعب الفلسطيني . وكان من الممكن ان تكون نتائج الاحتلال على اقتصاد الضفة وغزة اكثر سوءا لولا تمسك الشعب الفلسطيني باهدافه السياسية ، وكفاحه البطولي لتحقيق هذه الاهداف في مختلف المجالات بما في ذلك في المجال الاقتصادي.

٢) كافة العوامل المؤثرة على اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة التي ارتبطت بالاحتلال ، سواء منها الممارسات الادارية المباشرة ام التي تمارس تأثيرها عبر السوق ، عوامل متكاملة ، وكانت نتائجها على اقتصاد الضفة وغزة بوجه عام سلبية.

٣) لا يمكن اغفال تأثير التناقض الشكلي بين المصالح الاستراتيجية للاحتلال في تهميش الوجود المادي والروحي للشعب الفلسطيني ، من خلال عملية فصمه عن شروط بناءه وتطوره في وطنه ، ومحاولة دحره عنه ، وبين المصالح الانية للاحتلال التي تبرز في السعي لتحقيق اقصى الارباح للاقتصاد الاسرائيلي من المناطق المحتلة . وقد كان لهذا التناقض اثار ملموسة على الوضع الاقتصادي ، وترك المجال امام هامش محدود ومتناقص لتطور اقتصاد المناطق المحتلة.

٤) ترجع اسباب نجاح الاحتلال في التحكم والسيطرة على سير العمليات الاقتصادية وتوجيهها بما يخدم مصالحه السياسية والاقتصادية الى ثلاثة عوامل رئيسية: قوة سلطة الاحتلال ، تخلف وضعف البنية الاقتصادية في المناطق المحتلة عشية الاحتلال ، تفوق الاقتصاد الاسرائيلي.

٥) كانت نتائج الاحتلال كارثية على تطور الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، حيث ادى الى اضعاف النمو وفرملته ، وتشويه البنية الاقتصادية ، وتعميق تبعيته للاقتصادات الخارجية وبوجه خاص للاقتصاد الاسرائيلي. ولكن "انجازات" الاحتلال هذه لم تساعده في فرض مخططاته على الشعب الفلسطيني ، بل انها ساعدت في تفاقم صراعه معه.

٦) ان سبب الانتفاضة الاخيرة لا يمكن ايجاده في تردي الوضع الاقتصادي ، فالانتفاضة كمرحلة جديدة في النضال الفلسطيني نتيجة حتمية للاحتلال كتجسيد لفرض سلطة اجنبية بالقوة على شعب اخر ، وهي مرحلة كانت ستنشأ بصرف النظر عن الوضع الاقتصادي للشعب المحتل.

٧) كان تأثير تردي الوضع الاقتصادي في الانتفاضة الاخيرة في انه جعلها اكثر اتساعا وشمولا في بعديها الاجتماعي والجغرافي واثر على الية تطورها.



Digitized by Birzeit University Library

# الهوامش:

١):

a) Benvenisti, Meron, West Bank , Hand book , Jerusalem 1986 , P121 .

ب) د. زياد ابو عمر . اقتصاد قطاع غزة الى اين ؟ ، الكاتب ، عدد ٨٦ ، حزيران ١٩٨٧ ، ص٨٢ .

٢) للمزيد من التفاصيل انظر د. سمير عبد الله ، تأثير الاحتلال عل القطاع الزراعي في الضفة الغربية ، الكاتب ، عدد ٨٦ ، حزيران ١٩٨٧ .

٣) د.زياد ابو عمر ، اقتصاد قطاع غزة الى اين ؟ ، الكاتب ، عدد ٨٦ ، حزيران ١٩٨٧ .

٤) د.سمير عبد الله ، التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، الكاتب ، عدد ٩٨ ، حزيران ١٩٨٨ .

5) Statistical Abstract of Israel 1987 , Central Bareau of Stahshcs , Jerusalem , 1987 .

٦) د.سمير عبد الله ، التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، نفس المرجع السابق .

٧) د.سمير عبد الله ، التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي في الضفة الغربية وقطاع غزة . نفس المرجع السابق .

٨) د.سمير عبد الله ، مشاكل واتجاهات تطور القطاع الصناعي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، جامعة النجاح الوطنية ، دراسة قيد النشر .

٩) د.سمير عبد الله ، التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، نفس المرجع السابق .

١٠) احتسب من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، اعداد مختلفة .

١١) احتسب من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، اعداد مختلفة .

١٢) احتسب من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، اعداد مختلفة .



Digitized by Birzeit University Library

# الاثار النفسية - الاجتماعية للانتفاضة

# داخل المجتمعين الفلسطيني والاسرائيلي

- د. يوسف ابو سمرة -

جامعة بيرزيت

بعد اربعين سنة من التشرد ، فالفلسطيني لاجيء او تحت الاحتلال لم يتنازل عن حقه في العيش بسلام في دولته المستقلة تماما كبقية الشعوب التي ناضلت من اجل حريتها

ان انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد المحتل الاسرائيلي هي جزء من تلك النضالات البطولية التي قامت بها عبر التاريخ الشعوب المستعمرة ضد مستعمريها. فبالرغم من اللوبي المسلح بالدعاية والذي نجح عل الصاق كلمة "المخربين" بدلا من المقاومة الفلسطينية وكلمة "الادارة المدنية" بدلا من الاحتلال الاسرائيلي.

ان ٤٠ او ٢٠ سنة من العمل المتواصل لاخصائي علم النفس - الاجتماعي والسياسة الاسرائيلية لم ينجحوا في منع الاحباطات الناجمة عن سياسة الاحتلال اللاانسانية من ان تتحول الى ثورة . تماما كما حدث في الجزائر او غيرها فان الشعب الفلسطيني لن يخضع وللابد للمحتل.

ان الاثار النفسية - الاجتماعية والسياسية للانتفاضة هامة لان الانتفاضة لا يمكن تجنب حدوثها للاسباب التالية:

- فهي ان لم تندلع في ٩ ديسمبر كان لا بد ان تندلع في يوم اخر.
- ان استمرار الانتفاضة منذ اكثر من سبعة شهور يشير الى انه من الصعب القضاء عليها.
- ان اتخاذ الانتفاضة اشكالا مختلفة من النضال اللاعنفي بشكل عام يعطيها قوة ويحول قوة المحتل الى مصدر لضعفه وعجزه.
- ان حياة الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ، تنظيمها وديناميكيتها والطريقة التي يدركون فيها المحتل لم ولن تعد كما كانت قبل ٩ ديسمبر ١٩٨٧.

لهذه الاعتبارات فان اثار ونتائج الانتفاضة

* هذا المقال يشكل فصلا من كتاب للمؤلف تحت الاعداد بعنوان: الحرب النفسية الاسرائيلية ضد الانسان الفلسطيني: من الاحتلال الى الانتفاضة.



Digitized by Birzeit University Library

متعددة عند الفلسطينيين وعند الاسرائيليين"١"

**أ- بالنسبة للمجتمع الفلسطيني:**

فقد حدثت هناك تحولات في مستوى الادراك والوعي لدى الناس على مستويين:

١) مستوى الطبقات الاجتماعية ، حيث انجزت عدة خطوات على طريق الحد من التفسخ الاجتماعي الذي ظن المحتل نفسه انه حققه على مدى العشرين سنة الماضية بين فئات المجتمع المختلفة ، والذي بدء ينهار مع بداية الانتفاضة . حيث شاركت كل طبقة بوسائلها المختلفة وحسب امكانياتها في انجاح برنامج الانتفاضة :"للخارج ايها المستوطنون" "للخارج ايتها العساكر"

- فالتجار يمارسون الاضراب التجاري وهذا يعمل على شل الحياة الاقتصادية.
- الفلاحون يمدون المخيمات والاحياء الفقيرة والمحاصرة بالامدادات الغذائية.
- والعمال تزداد مقاطعتهم لسوق العمل الاسرائيلي يوما بعد يوم.
- والطلاب يشاركون في التصدي للاحتلال من خلال مواقعهم المتقدمة في المظاهرات ولجان الاحياء المختلفة.
- كذلك يساهم الاطباء ، والمحامون ، والمعلمون كل من موقعه في خدمة لجان التضامن المختلفة.

٢) الجانب الثاني هو تلك التحولات والتغيرات التي حدثت في الدور الاجتماعي للفرد مقابل عمره. صحيح ان فئة الشباب في المجتمع الفلسطيني كغيره تمثل الامل والطليعة للامة كما اكد ذلك انتفاضات الشعب الفلسطيني السابقة ضد المحتل منذ عام ١٩٦٧ . لكن ما يميز انتفاضة عام ٨٧ - ٨٨ هي شموليتها لفئات العمر المختلفة وشموليتها لما تركته من آثار نفسية واجتماعية وسياسية وثقافية على فئات العمر المختلفة من الجنسين.

باختصار يمكننا القول ان جنود الاحتلال بلجوئهم الى وسائل العنف اثناء تفريق المظاهرات او عند مداهمة البيوت لتوقيف الافراد واستعمال الهراوات لقتلهم احيانا وخاصة من اجل الاهانة وذلك بطريقة عشوائية ضد الفلسطينيين من اطفال وشباب وشيوخ قد دفع بالناس الى النزول الى الشوارع للدفاع عن ابنائهم وبناتهم بغض النظر عن اعمارهم او طبقتهم الاجتماعية.

٣) من ناحية ثالثة نلاحظ ان المرأة احتلت دورا رئيسيا في مواجهة جنود الاحتلال. فلقد قامت النساء باعتراض طريق الجنود وفي عمل حواجز باجسادهن لمنع جنود الاحتلال من دخول حي او بيت ولقد قمن بانقاذ الكثير من الشباب من الاعتقال. ان لعب المرأة دورها كأم واخت ومناضلة قد جعل بعض جنود الاحتلال يترددون قبل الاعتداء عليها وعلى اطفالها.

٤) من ناحية اخرى نرى ان الخوف كحاجز نفسي في المواجهة بين المواطنين والجيش الذي يمثل الموت لم يعد قائما. فلقد تواجد المواطنين في حالات وجها لوجه مع جنود العدو كما حدث داخل مستشفى الشفاء في غزة في ديسمبر عندما اقتحم الجنود ووجد شاب محاصرا امام جندي فقال له الشاب بعد ان كشف عن صدره :"طخ" ان الجنود لم يترددوا عن اطلاق النار على المواطنين في مثل هذه الحالات ان التخلص من ظاهرة الخوف من الجنود والتي كانت ملموسة خلال العشرين سنة لهو من اهم مكتسبات شعبنا في هذه الفترة من نضاله وهي دليل على استمرارية الانتفاضة.

٥. مما تقدم استعرضنا الاثار الايجابية للانتفاضة على حياة الفلسطينيين كجماعة وعلى شخصيتهم كافراد. لكن لا بد هنا من الاشارة الى ان هناك حوالي اكثر من ٥٠ طفلا قد استشهد حتى تاريخ ٨٨/٧/١ وان هناك بضع مئات من الاطفال والشباب يعانون من اضطرابات نفسية نتيجة لتعرضهم مباشرة او تعرض احد افراد اسرتهم الى اعتداء من قبل جنود الاحتلال وهذه



Digitized by Birzeit University Library

الاضطرابات يمكن ان نلخصها فيما يلي:

- اضطرابات عصبية.
- اضطرابات في النوم.
- اضطرابات لغوية (كفقدان القدرة على الكلام او اعادة نفس المقاطع ذات العلاقة بالتجربة العنيفة التي عاشها الفرد.(٢)

بشكل عام الانتفاضة هي ظاهرة ايجابية وصحية على المستويات النفسية والعقلية والجسدية للفلسطينيين فبالاضافة الى انها اعطتنا شعورا بالامل وبالمستقبل . اعطتنا ذاك الوعي الجماعي والتي تلخصه هذه التجربة الشعبية بعبارة"رفع الرأس" امام المحتل. بالنسبة للفلسطينيين فان عاطفة الذات "انا وجماعتي" بدأت تأخذ مكانها عاطفة لنحن "نحن والاخرين".

وهكذا فان جو الانتفاضة يخلق عند الافراد حوافز ودوافع جديدة مثل :"التخلي عن المصالح الفردية والاهداف الشخصية والتضحية بكل ذلك في سبيل خدمة الهدف المثالي الذي وضعته الجماعة وتسعى جاهدة لتحقيقه"(٣).

## ب - بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي:

ان اثار وتفاعلات الانتفاضة نلمسها ايضا داخل المجتمع الاسرائيلي وتبدو اهمية هذه التفاعلات داخل الشرائح الاجتماعية - السياسية المختلفة كما تبدو اثارها على مختلف اوجه الحياة في اسرائيل.

١) فمن الناحية السياسية: فان نظرية الحكم بالامر الواقع السائدة في الاراضي المحتلة منذ ٢٠ عاما والمرتكزة على مجموعة من الاجراءات العسكرية والسياسية ، والقانونية ، والادارية وعلى ممارسة كافة الضغوط النفسية والاجتماعية والثقافية ضد مليون ونصف المليون فلسطيني اثبتت الانتفاضة الشعبية فشل كل هذه المحاولات.

ان الفرق بين الحزبين الرئيسيين في اسرائيل في تقييمهما لهذه السياسة هي ان حزب العمل يعترف بفشل مثل هذه السياسة اما الليكود فلن يعترف حتى الان بفشل سياسة الامر الواقع هذه.

٢) اما فيما يتعلق بالحالة النفسية لجنود الاحتلال فان الارهاب الممارس من قبلهم للقضاء على انتفاضة هذا الشعب قد ادى الى ردود فعل وانتكاسات داخل المجتمع الاسرائيلي بشقيه : العسكري والمدني.

فقد ادى وضع الجندي المحتل والمدجج بالسلاح مقابل شعب اعزل من النساء والاطفال والشيوخ والشباب المسلحون باحسن الحالات "بأدوات بدائية" ، ادى به كل ذلك ان يتساءل عن طبيعة دوره كجندي ولماذا هو هنا؟ ومن اجل من ؟

لقد بدا بعض الجنود الاسرائيليون يعانون من ما نسميه ب Vietnam Syndrom وانهم يخوضون حربا قذرة هدفها الدفاع عن المستوطنين وليس عن انفسهم . ان خير مثال يعبر عن معنويات الجندي الاسرائيلي التي بدأت تتحطم ما قاله طبيب عسكري قضى فترة خدمته في قطاع غزة لجريدة "يديعوت احرونوت" .

"لقد قضيت ثلاثة اسابيع كانت اقسى ما عشته في حياتي. في المرات السابقة كنت اعود من الخدمة محطما على المستوى الجسدي. هذه المرة نفسيتي هي المحطمة ، لقد ولدت في اوروبا واعرف ما عاناه والدي. لم اكن اتوقع ان ارى حتى في ابشع احلامي ان نعامل الفلسطينيين كما عاملنا الالمان . صحيح اننا لم نبن غرف الغاز ولا يوجد عندنا نظام منهجي للابادة لكننا ليس ببعيدين عن كل ذلك ..."(٤).

انني لا اعتقد باننا نلد عدوانيين وهذا اكدته نظريات علم النفس المختلفة في هذا الموضوع لكننا نصبح عدوانيين عن طريق التربية



Digitized by Birzeit University Library

وممارسات التنشئة الاجتماعية المختلفة. اننا لم نولد كجنود كذلك لا نولد من اجل القتل "Born to Kill" المكتوبة على خوذات بعض جنود الوحدات ان المباديء الاسرائيلية التربوية او ممارسات التنشئة الاجتماعية المبنية على الهوس الامني والتي تذهب حتى اعداد الفرد للقضاء على الاخر او السيطرة عليه لا تقود الا الى الحرب.

والحرب عندنا كما هي عند غيرنا لا تفرز الا الحقد والعنصرية وغياب العدالة الاجتماعية. وهكذا اذا كانت الحرب بالمعنى العسكري تعني ابادة الاخر فانها بالمعنى السيكولوجي تعني "ابادة الذات Self - Destruction" (٥).

ان غالبية الاسرائيليين لا يعون الى هذه الحقيقة وان اتجاهاتهم نحو كل ما يحدث في الاراضي المحتلة يمكن ان نصفها باللامبالاة.

وبالرغم من هذا الاتجاه "اللامبالي" العام فان هذا لا يمنع من ظهور حركات سلمية جديدة كردود فعل على الانتفاضة تطالب الجنود برفض الخدمة في الاراضي المحتلة وتطالب السياسيين الاسرائيليين بالتفاوض مع منظمة التحرير .. مثل حركات: هناك حد - خط احمر - السلام الان..الخ.

بالمقابل فان للانتفاضة انتكاسات داخل المجتمع الاسرائيلي ادت الى تأكيد التصريحات والخطط العنصرية للاتجاهات اليمينية المتطرفة والمتمثلة في : الترانسفير، وطرد المتظاهرين، واعطاء تصريح باطلاق النار للمستوطنين (وكأنهم ينتظرون تصريحا من رابين او من غيره ..".

ان ممارسات الحكومة الاسرائيلية الحالية تخدم في مجملها مخطط اليمين التوسعي فمن فرض الرقابة على الصحافة الاجنبية وحتى الاسرائيلية الى "منع نشر تقرير الاخصائيين السيكولوجيين الاسرائيليين عن اثار استعمال العنف من قبل الجيش على افراد هذا الجيش"(٦) وهنا نسأل هذا السؤال الهام اذا كانت نتائج سلوك العنف على الجنود خطيرة لهذه الدرجة ، ترى ماذا ستكون بالنسبة للافراد الذين تعرضوا لهذا العنف؟

* نظرة اخيرة داخل المجتمع الاسرائيلي ترينا انه طالما ان الاكثرية الاسرائيلية لم تغادر موقعها كمتفرج ولم تلعب دورا اكثر فعالية بجانب تلك الاقلية - الكبيرة الا وهي معسكر السلام وذلك للحد من توسع تلك الاقلية - الصغيرة الا وهي معسكر المستوطنين فان اثار الانتفاضة الشعبية الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي العسكري تبقى سلبية بالنسبة لمستقبل المجتمع الاسرائيلي.

## المراجع


١) انظر مقالة للمؤلف نشرت في ٢٥/٥/٨٨ في The Jerusalem Post .

٢) مقابلة مع الدكتور اياد السراج رئيس قسم الامراض النفسية والعقلية في مشافي غزة. وانظر ايضا محاضرة الدكتورة كايرو عرفات "الاثر النفسي للعنف الاسرائيلي على الطفل الفلسطيني" القدس ١٠/٦/٨٨.

3) A.MITSCHERLICH, L idee depaix et Lagressivite humaine, Gallimard 1970.P.45.

4) A.Kpeliouk, le monde Diplomatique, Avril , 1988.

6) The Jerusalem Post, 25.3.1988

بالاضافة الى تقرير عن مجموعة عمل منبثقة عن مؤتمر حول "الاثار النفسية للاحداث في المناطق" المنعقد في القدس يوم ١٤/٦/٨٨.




Digitized by Birzeit University Library

# "المشاركة الشعبية في الثورة النيكاراغوية"

بقلم : هارفي ويليامس *

ترجمة وتلخيص : زياد عبد الله **
- جامعـــة بيرزيـــــــت -

ازداد الاهتمام ، مؤخرا ، بدور المشاركة الشعبية في العملية السياسية في دول اميركا اللاتينية . ولقد اظهرت الدراسات الحديثة عدم صحة الصورة السائده عن مواطني اميركا اللاتينية ، وبخاصة الفقراء منهم ، والمتضمنه وصفهم بالسلبية والبعد عن الانخراط في العمل السياسي.

لقد جذبت الثورة الساندينية في نيكاراغوا تلك الامه الى مسرح الاهتمام الدولي ، وكتب الكثير عن نجاح او فشل هذه الثورة في تطوير حياة ديمقراطية بمشاركة جماهيرية فاعلة . تهدف هذه الدراسة ، اولا ، الى وصف دور المؤسسات الجماهيرية في نيكاراغوا قبل وبعد الثورة . ثانيا ، تحليل انماط المشاركة الشعبية . اخيرا ، ابراز اهم المشاكل التي تعترض مشاركة شعبية اكثر اتساعا واعمق انخراطا .

## خلفية عامة :

لقد حكمت عائلة سوموزا ، وحتى سقوطها في ١٩٧٩/٧/١٩ ، شعب نيكاراغوا لاكثر من اربعين عاما بيد من حديد . وامتدت هيمنة هذه العائلة لتشمل ، اضافة للقطاعين العسكري والسياسي ، السيطرة على اقتصاد البلاد وبشكل مركز في الصناعة والزراعة والقطاع المصرفي . واستطاعت هذه العائلة اضعاف المؤسسات الجماهيرية القليلة القائمة من خلال امتلاكها

* هارفي ويليامس : استاذمشارك في دائرة علم الاجتماع ، جامعة الباسيفيك ، الولايات المتحدة . قدمت هذه الورقة للاجتماع السنوي لجمعية علماء الاجتماع في الغرب الاوسط المنعقد في شيكاغو بتاريخ ١٩/٤/١٩٨٤ .

** زياد عبد الله : مدرس في دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية / جامعة بيرزيت . ومن مواليد القدس .



Digitized by Birzeit University Library

لادوات القمع والرشوة .

في السنوات الاخيرة لحرب التحرير ، بدات الجماهير تنظيم صفوفها لدعم الجبهة الساندينية للتحرير الوطني ، وبخاصة في الضواحي القريبة من ماناغوا ،وفي مراكز الاقاليم ، حيث كونت الجبهة الساندينية لجان الدفاع المدني بمساعدة اتحاد المرأة الوطني وبعض المجموعات الكنسية . ولعبت لجان الدفاع المدني هذه دورا رئيسيا في توفير المخابىء الامنة ، العناية الطبية ، الاتصالات ، وتنظيم المقاومة المحلية . "وعليه ، فانه وعند تحقيق الانتصار كان هناك بناء مؤسساتي نامي يعمل على اشراك الجماهير في العملية السياسية .

بعد انتصار الثورة عام ١٩٧٩ ، اعلنت الجبهة الساندينية للتحرير الوطني الاعتراف بالمنظمات الجماهيرية ( والتي ضمت منظمات النساء ، الاطفال ، عمال الصناعة ، العمال الريفيين ، وخلايا الاحياء) كممثلين شرعيين للشعب . واعيد تسمية لجان الدفاع المدني لتصبح "لجان الدفاع الساندينية" ، كما تم منحها تسع مقاعد من بين تسعة واربعين مقعدا يضمها مجلس الدولة .

## بنية ودور لجان الدفاع الساندينية

كانت لجان الدفاع الساندينية الاكثر انتشارا واستيعابا للجماهير من بين المنظمات الجماهيرية ، وتجاوز عددها ١٥٠٠٠ لجنة. كان باب العضوية مفتوحا لاي مواطن تجاوز الرابعة عشرة من العمر ،وانتشرت وحدات اللجان ( نظريا على الاقل) في كافة ارجاء البلاد . وفي الواقع فان تلك اللجان كانت اكثر نشاطا في المناطق الحضرية، وبخاصة في احياء الطبقة العاملة والفقراء . في هذه المناطق ،كانت هناك وحده قاعدية لكل حي يمثلها عضو في لجنة المنطقة والتي بدورها مثّلها عضو في المنظمة الوطنية . وعلى الرغم من اعتبار هذه اللجان النصير الشرعي للجبهة الساندينية الحاكمة فانها كانت مستقلة ماليا وتنظيميا عن الحكومة .

تتضمن الاهداف العامة للمؤسسات الجماهيرية، وبضمنها لجان الدفاع الساندينية ، النقاط التالية:

٠١ تشجيع المشاركة الشعبية في حل المشاكل الجماعية .

٠٢ حماية الثورة .

٠٣ المساهمة في تفعيل نقاش وتنفيذ سياسات الحكومة .

٠٤ المساهمة في رفع مستوى حياة الشعب .

٠٥ توحيد القوى المناهضة لعهد سوموزا البائد.

٠٦ دعم وتفعيل الاقتصاد الوطني .

٠٧ المساهمة في خلق المواطن النيكاراغوي الجديد.

وعليه ، فان هيكلية لجان الدفاع الساندينية قد صممت بحيث توفي اتصالا فعالا ومباشرا بين الجماهير من جهة والحكومة الثورية من جهة اخرى . ذلك ان اللجان المذكورة ممثلة بشكل غير مباشر في مجلس الدولة من خلال تسعة اعضاء يتم انتخابهم من قبل اعضاء لجان الدفاع الساندينية . ويساهم الاعضاء التسعة في العملية التشريعية ، ويتم حثهم على ابقاء اتصال مستمر مع جماهير الناخبين . وتتم هذه العملية بدون قنوات بيروقراطية وتتراوح المطالب من شكاوى بسيطة الى مطالب ومقترحات تستهدف احداث تغييرات في السياسة العامة للحكومة . ونلاحظ هنا اهمية العملية في تفعيل الديمقراطية الشعبية والتي كانت مفقوده في عهد ديكتاتورية سوموزا البائد . وتستخدم الحكومة وجبهة التحرير الساندينية القنوات السابقة لمعرفة مطالب واراء الجماهير بشأن مشاريع القرارات السياسية والتشريعية . ايضا، فان بنية لجان الدفاع الساندينية تستخدم من قبل الحكومة لايصال المعلومات والقرارات الى الجماهير ، ولرفع شأن دور الجماهير في مساندة



Digitized by Birzeit University Library

برامج الثورة .

## اشكال المشاركة الشعبية

تم تشخيص عدة انماط للمشاركة السياسية، وتتضمن هذه نشاطات تقليدية كالدعاية والتصويت ، ونشاطات اخرى مثل الاتصالات مع المسؤولين ، النشاطات المساندة ، والنشاطات المحلية . وسنحاول هنا فحص الاشكال التي تمارس لجان الدفاع الساندينية من خلالها العمل السياسي

### ١- الدعاية والتصويت :

سن قانون الانتخابات بعد مرور خمس سنوات على الثورة. قبل ذلك كانت الدعاية السياسية ممنوعة . لذا ، فانه من غير الممكن تكوين صورة واضحة عن الدور الذي يمكن ان تلعبه لجان الدفاع الساندينية في الانتخابات . وبما انه يفترض ان تكون لجان الدفاع الساندينية مستقلة عن الجبهة الساندينية الحاكمة ، يتوقع ان لا تلعب هذه اللجان دورا منحازا ، خلال عملية الدعاية السياسية ، وان يتركز دورها على تفعيل المشاركة الانتخابية ، كحد ادنى من خلال تشجيع الجماهير على التصويت كمظهر دعم للعملية الثورية الجارية في المجتمع النيكاراغوي .

### ٢- الاتصال مع المسؤولين المحليين :

اعتادت الجماهير قبل الثورة الاتصال مع مسؤولي الحكومية بشكل شخصي . لم تشجع لجان الدفاع الساندينية هذا المظهر من التصرف الفردي ، حيث بدأ مسؤولو الحكومة الساندينية مقابلة لجان الدفاع الساندينية كمجموعات لسماع اقتراحاتها وشكاواها . ايضا ، اعتمد ممثلو الحكومة على هذه اللجان في المصادقة على صحة المطالب الفردية لاعضائها . كما ان هذه اللجان كانت المبادرة في تنظيم جلسات "واجه الشعب" وهي اجتماعات عامة مفتوحة يجيب مسؤولو الحكومة من خلالها على اسئلة وشكاوي سكان الاحياء .

### ٣- النشاطات المساندة :

تشكل النشاطات التي تقوم بها المنظمات الجماهيرية لدعم العملية الثورية مرتكزا لنجاح العديد من البرامج الحكومية وبخاصة البرامج الاجتماعية . ولعل اوضح الامثلة ، كانت حملة محو الامية ، والعديد من الحملات الصحية ،والتي تولت لجان الدفاع الساندينية خلالها مهمة تجنيد وتدريب المتطوعين ، تخزين وتوزيع المواد ، التنظيم والاشراف على سير العمل . وتجدر الاشارة ، الى اهمية دور اللجان الشعبية في انجاز مشاريع الاسكان الشعبي تنظيم الدفاع المدني ، انشاء مراكز الرعاية والامومة ، والقيام بمشاريع العمل التعاوني في القطاع الزراعي (مثلا حصاد محاصيل القطن والقهوة).

### ٤- النشاطات المحلية :

على الرغم من اهمية وحيوية النشاطات المساندة ، فان دور لجان الدفاع الساندينية لم يقتصر على تنفيذ السياسات المقرة من قبل الحكومة ، حيث عملت هذه اللجان ، ايضا ، على تنظيم الجماهير في عملية مشاركة فاعلة وبخاصة من خلال اللقاءات الدورية الاسبوعية ، حيث يتم حث المواطنين على تحليل المشاكل المحلية ، اقتراح الحلول ، الحصول على ردود فعل حكومية مناسبة ، واقتراح سياسات جديدة . ايضا ، يتوقع من هذه اللجان تقييم التشريعات



Digitized by Birzeit University Library

المقترحة ، ونقد الممارسات الخاطئة في القطاعين العام والخاص .

## نظرة مقارنة :

هناك العديد من اوجه الشبه بين لجان الدفاع الساندينية في نيكاراغوا ولجان حماية الثورة في كوبا. ولا يتردد النيكاراغويون بالاقرار بان لجان حماية الثورة الكوبية كانت نموذجا يحتذى للجان الدفاع الساندينية ، وبخاصة بنيتها الهيكلية والتنظيمية . لقد تعلم النيكاراغويون من التجربة الكوبية انه ولضمان دعم الجماهير ، فلا بد من امتلاكها لتأثير سياسي حقيقي . غير ان ثمة فروقات اساسية بين لجان الدفاع الساندينية ولجان حماية الثورة في كوبا . تنبع هذه الفروقات من التباينات الرئيسية في السياسات الوطنية لكلا الدولتين. لقد التزمت نيكاراغوا بالتعددية السياسية ، ثم ان نظام تعدد الاحزاب في نيكاراغوا لم يسمح برباط مباشر بين جبهة التحرير الساندينية ولجان الدفاع الساندينية . ان دور لجان حماية الثورة في كوبا في ترشيح اعضاء الحزب الشيوعي الحاكم غير موجود في نيكاراغوا . وعلى الرغم من ان لجان حماية الثورة في كوبا ترشح ممثليها لعضوية مجالس سلطة الشعب كما هو حال لجان الدفاع الساندينية بالنسبة لمجلس الدولة ، فان بنية ودور هذين الجسمين المتباينتين اعطتا معنى مختلفا لعملية الترشيح هذه . ايضا ، فان التزام نيكاراغوا بالتعددية الاقتصادية وافتقارها لاقتصاد منظم مركزيا ، حد من قدرة لجان الدفاع الساندينية على المشاركة بنفس فاعلية لجان حماية الثورة في كوبا في النشاطات الاقتصادية الوطنية . غير انه يجدر القول ان النيكاراغويين يرون ان مشاركتهم في لجان الدفاع الساندينية لا تقل اهمية في حماية الثورة عن دور اللجان الشعبية في كوبا .

## مشاكل تحد من فاعلية المشاركة الشعبية:

هناك عدد من العوامل التي تحد من مستوى الانخراط ونوعية المشاركة من قبل الجماهير في لجان الدفاع الساندينية . وتشمل هذه العوامل : قلة خبرة الجماهير ، الافتقار النسبي لكوادر قيادية محلية متمرسة ، اضافة الى ان اسلوب العمل الجماعي قد دخل في تعارض مع التراث الفردي الذي خلفه نظام سوموزا ، ناهيك عن ان طابع المشاركة في اللجان الشعبية يعتمد على التطوع مما يعني عدم ضمان الالتزام المستمر .

## خلاصة :

ابرز التحليل السابق للمشاركة الشعبية في العملية الثورية النيكاراغوية اهمية دور المنظمات الجماهيرية في الاحياء والمراكز المدنية والريفية . لقد تطورت لجان الدفاع الساندينية من مجموعات منظمة دعمت القوى الثورية خلال الحرب الشعبية ضد نظام سوموزا . بعد سقوط هذا النظام استوعبت هذه اللجان في سياق العملية الثورية وشكلت حلقة مركزية في تنظيم وتشجيع المشاركة الشعبية . اكدت هذه العملية اهمية الاتصال ذي الاتجاهين بين الحكومة والجماهير ووفرت الدعم والحماية للحكومة الثورية ، وايضا مشاركة المجتمع في مراجعة وصياغة الخطط الوطنية .

برزت عدة مشاكل في تنمية المشاركة الفاعلة والشاملة الا انه وعلى الرغم مما ذكر ، يبقى دور اللجان الشعبية ايجابيا وحيويا في تسريع المشاركة السياسية للجماهير النيكاراغوية في عملية خلق المجتمع الجديد .



Digitized by Birzeit University Library

# مقارنات في "المثاقفة" و"التبعية":

## الاحساس بالعالم .. والتلذذ بالتبعية

عز الدين المناصرة *

بدأ «الإحساس بالعالم» لدى الأمم القديمة من خلال الحروب والتجارة والهجرات والاحتكاك الثقافي بين الحضارات، فقد كانت الأفكار تنتقل من مكان إلى آخر بالقبول أحياناً وبالقوة في أغلب الأحيان. أو يأتي انتقالها كتحصيل حاصل لاحتكاك يتم لسبب أو آخر. ولدينا عشرات الأمثلة على وجود فعلي لهذا الاحتكاك الذي خلق شعوراً واقعياً بوجود «آخر» و «آخرين» على هذا الكوكب، وخلق إحساساً بضرورة التعرف على الآخر واكتشافه، مع اختلاف صياغة «فكرة الآخر» ونموها ومع اختلاف الأسباب التي تدعو إلى هذه المعرفة. ولكن كمية المعرفة القديمة للآخرين كانت ضئيلة. وظل «الإحساس بالعالم» اضطرارياً وذهنياً. وفي هذه المرحلة لعب العرب كوسيط ثقافي بين اليونان وأوروبا. وتم احتكاك مباشر مع الثقافة الفارسية. رغم أن سكان المنطقة العربية ساهموا قبل ذلك في صياغة «الوجدان العالمي» قبل تشكل مفهوم الحضارة العربية الإسلامية من خلال الحضارة المصرية وحضارة الكنعانيين وحضارة ما بين النهرين. كذلك من خلال الصراع القرطاجني مع روما والصراع النوميدي - الروماني. فالإحساس بالعالم قديم وفكرة «عالمية العالم» قديمة، لكنها لم تتخذ شكلاً منظماً إلا في القرن العشرين. ولم ينقطع الاحتكاك بالآخر بعد أن لعب العرب دور الوسيط، فمع صعود مفهوم «أوروبا» التي توحدت حول «الايمان المسيحي»، بدأت الحروب الصليبية التي لم يكن يحركها الايمان المسيحي فقط. هذا الاحتكاك السلبي خلق فكرة «شرق - غرب»، وجاء «الاستشراق» كمحاولة ثقافية أولى للتعرف على الشرق. ولا يمنع هذا أن الأهداف متناقضة. وكان العالم العربي في حالة انقطاع. ومع بداية اكتمال معرفة الغرب بالشرق بدأت الممارسة الاستعمارية وبدأت فكرة النظر إلى

---

(*) عز الدين المناصرة: شاعر فلسطيني معروف صدرت له ثماني مجموعات شعرية - الأمين العام المساعد للرابطة العربية للأدب المقارن - أستاذ الأدب المقارن... ونظرية الأدب في جامعة قسنطينة بالجزائر منذ ١٩٨٣ - عضو الرابطة الدولية للأدب المقارن.



Digitized by Birzeit University Library

«الشرق» كسوق. ومن «الاستعمار» إلى محاولة العرب اكتشاف أوروبا ثقافياً. أي ما اقتُرح أن يسمى بالنهضة.

ثم يبقى معنى «النهضة» هو تقليد النموذج الأوروبي. وتلت النهضة المرحلة الثانية من الاستعمار وهي المرحلة الأكثر استغلالاً، وأعلى مراحل إستعمار الغرب للشرق هي مرحلة زرع الجسم الاستعماري الجديد «اسرائيل» التي هي نتاج الغزو الأوروبي وتحمل أعلى صفاته العنصرية. وهكذا زرعت «إسرائيل» في قلب فلسطين. ثم انفجر بركان الذهب الأسود. وهكذا لم يعد الشرق مكاناً للأنبياء، بل أصبح مكاناً للنفط. وظل الغرب في ظل كل هذه المراحل يتثاقف مع الشرق مثاقفة استلابية مع تنوع أشكال هذه المثاقفة، لكن المفهوم الأوروبي للمثاقفة ظل استعلائياً، في مقابل ولادة الحداثة النفطية وهي تعني اعتبار النموذج هو النموذج الأوروبي ثم الأورو - أمريكي. ومع تنامي الصراع العربي - الاسرائيلي - والفلسطيني - الاسرائيلي، كشف الغرب مرة أخرى أنه لن يتخلى عن عنصرية «اسرائيل»، مثلما يرفض التخلي حتى الآن عن عنصرية جنوب إفريقيا. ولم تأخذ المثاقفة - شرق - غرب، سوى شكل واحد هو الإخضاع من طرف والقبول بالخضوع والتلذذ به من الطرف الآخر. لكننا مع هذا نشير إلى حالتين خاصتين هما: «الاستشراق» و «النهضة» وتبقى حالة جديدة لم تكتمل وهي «المهاجرين العرب» التي هي من نتائج الإرث الاستعماري.

إن بداية «الإحساس بالعالم» لا يمكن التأريخ لها بالقرن الثامن عشر ولا بالاكتشافات الجغرافية ولا بكتب الرحلات الفردية، ولا يمكن التأريخ لفكرة «عالمية العالم» بحادثة فردية مثلما فعل أنور عبد الملك حين قدّم مثالاً على ذلك بقوله «عندما توفي نابليون الأول في منفاه بجزيرة سانت هيلانه سنة ١٨٢٢م يصل النبأ إلى ميناء - مارسيه، إلا بعد انقضاء شهرين على الوفاة ولم ينتشر في أرجاء فرنسا إلا بعد نصف عام وبالتالي يصل أنور عبد الملك إلى نتيجة مفادها أنه قبل انتهاء القرن التاسع عشر بدأ ظهور أول المعارض العالمية، عصر تدوين الاكتشافات وتعدد طبعات خرائط العالم، عهد البرق والتلفون وإنشاء شركات الملاحة الكبرى، وبالتالي فإن إدراك العالم بالوعي بالعالم تَمَّ منذ أقل من قرن من الزمان، حسب تعبيره. إنّ «الإحساس بالعالم» بدأ أولاً عبر الاحتياج الإنساني لمعرفة العالم وهذه المعرفة لا تخلو من وظيفة أو هدف، بل ظلت دائماً ترتبط بهدف ولكنه لم يكن هدفاً واحداً. ولم يكن الوعي بالعالم وعياً تاريخياً وفلسفياً ودينياً فقط، ثم إن هذا الوعي نتج عن علاقات احتكاك فعلية واقعية مادية مباشرة أو عبر وسيط. وقد بدأ الوعي الفعلي منذ لعب العرب دور الوسيط وفق نمط المثاقفة الايجابية لكن «عالمية القرن العشرين» لا تضاهي فقد بدأت بتعارف احتلالي وبتناقض تناحري رغم التعارف الثقافي الذي تم كنتيجة طبيعية لهذا الصراع. إنّ ماركس يؤرخ لعهد الطفولة التاريخية للانسانية بالقرن الثامن قبل الميلاد. مع هذا تظل عالمية القرن العشرين لا مثيل لها. ومع هذا أيضاً ينبغي النظر إلى «الاستشراق» كحالة تاريخية تابعة للاستعمار رغمَ ما قدمته من معرفة عن الشرق إلى الغرب، لأن نظرية «هذه الأرض المشرقية الساحرة تصلح للاستعمار» تقع في نواة الرؤية الاستشراقية. ولكن ليس هذا كل شيء. فهناك انبهارات فردية ضمن مشروع الاستشراق. فالاستشراق - حسب إدوارد سعيد - «ليس مجرد موضوع أو ميدان سياسي ينعكس بصورة سلبية في الثقافة والبحث والمؤسسات. كما أنه ليس مجموعة كبيرة من النصوص حول الشرق، كما أنه ليس ممثلاً لمؤامرة امبريالية غربية شنيعة لإبقاء



Digitized by Birzeit University Library

العالم الشرقي حيث هو . (الاستشراق) حقيقة ثقافية وسياسية». لقد صدر ستون ألفاً من الكتب تتعلق بالشرق الأدنى كتبت بين 1800 - 1950 في الغرب. فالاستشراق جهاز ثقافي والشرق من وجهة نظر الغرب ـ وجد من أجل الغرب كما يقول سعيد، أما حول الاستشراق الأمريكي فيرى أن هذا الاستشراق نظر إلى ـ الشرقية، السلافية وأوروبا الشرقية وافريقيا كمجال موحد.

لكن إدوارد سعيد يمسك بإحدى جمل ماركس ويقتلعها من مكانها، ثم يقيم حولها نظرية متكاملة تساوي بين نظرة ماركس العالمية وبين نظرة أوروبا وأمريكا، تماماً كما رأينا لدى أنور عبد الملك حين أمسك بخيط وفاة نابليون كحادثة فردية وأقام حوله نظرية كاملة حول بدايات الوعي بالعالم.

يقول إدوارد سعيد: «ومع مؤتمر باندونغ عام 1955، كان الشرق بأكمله قد حصل على إستقلاله السياسي عن الامبراطوريات الغربية. وبدأ يجابه تجسيداً آخر للقوى الامبريالية متمثلة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي».

**أولاً:** لقد كانت الماركسية تنادي بتطبيق عملي لعالمية العالم انطلاقاً من المنظور الطبقي الذي يرفع شعار «يا عمال العالم اتحدوا». وإذا كانت مصادر ماركس عن الشرق أوروبية الأصول فان رؤيته للشرق تتناقض مع الرؤية الأورو ـ أمريكية. ولا يعني أن اقتناص ادوارد سعيد لجملة ماركس «لا يستطيعون تمثيل أنفسهم، يجب أن يمثلوا»، لا يعني هذا الاقتناص أن تأويلات سعيد هي الصحيحة، فهذه الجملة يمكن دراستها من وجوه أخرى. كما أن هذه الجملة لا تحدد جوهر فكر ورؤية ماركس للشرق.

**ثانياً:** إن المساواة بين المركزية الأورو ـ أمريكية وبين رؤية وممارسة الاتحاد السوفياتي تجاه الشرق، هي أحد عناصر رؤية الجناح الليبرالي في هذه المركزية، وذلك بالتغطية على سلبيات المركزية الأورو ـ أمريكية ولتبرير الإعجاب بها واعتبارها هي النموذج الثقافي. وعلى المستوى الإيديولوجي والسياسي نجد هذه المساواة مستحيلة وظالمة. ولم يكن مؤتمر باندونغ إلا نقيضاً للاستعمار الأوروبي والهيمنة الأمريكية بعد أن زرعت «اسرائيل» بدعم منها، فالشرق كان مستعمراً من المركزية الأورو ـ أمريكية وليس من الاتحاد السوفياتي. فالحياد الإيجابي لم يكن يعني إلا التخلص من بقايا الإرث الاستعماري. والاستشراق منذ أواخر القرن الثامن عشر يشتق من علاقة. تقارب خاصة «قامت بين بريطانيا وفرنسا والشرق. أما منذ الحرب الثانية فقد سيطرت أمريكا على الشرق وهي تتناوله كما تناولته فرنسا وبريطانيا ذات يوم» كما يقول إدوارد سعيد نفسه.

**ثالثاً:** «الاستشراق هو نظام من المعرفة للشرق وهو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه. وهو أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب» «واهتمام المركزية الأورو ـ أمريكية كان سياسياً وما زال». وهذا الكلام عن تعريفات الاستشراق كلها لإدوارد سعيد الذي يربط دائماً بين المركزية الأورو ـ أمريكية والاستشراق كمؤسسة تصف الشرقي دائماً كتجريد مثالي ثابت منفصل عن تاريخيته. أما مقولة أن «الشرق كان قابلاً لأن يُجعل ـ أي أن يخضع لكونه ـ شرقياً» فهي تحمل عدة وجوه منها: عجز الشرق الإجباري. إضافة لعناصر تبرير العجز وهذا التبرير هو الذي قاد إلى الخضوع والتلذذ بالتبعية تحت يافطة الانفتاح. ولكن هذا العجز تم أولاً بوسيلة الإخضاع بالقوة وليس لأن الشرقي خلق خاضعاً بطبيعته. إن عنصر التبرير هو ما نسميه



Digitized by Birzeit University Library

بالتبعية فالقضية ليست سيكولوجية. إن مشاهدة فيلم يتحدث عن الحرارة الشديدة في صيف ما ـ أثناء فصل شتاء قارس، لا يغير من حقيقة موضوعية وهي أن الشتاء قارس بوجود الفيلم أو عدم وجوده، فالتفسير السيكولوجي تفسير ثانوي. والقابلية للتبعية نابعة من عناصر مادية وليس من مشاعر.

رابعاً: في المحاولات النهضوية العربية انبهار بالغرب ومحاولة للتعرف عليه، فرفاعة الطهطاوي مثلاً وقف أمام باريس مندهشاً ولم يستطع صياغة هذا الانبهار في رؤية عقلانية. أما روحي الخالدي فقد كان مدهشاً برؤيته الموضوعية. في حين نجد جبران خليل جبران يقدم حلاً إبداعياً هو مزيج انفتاحي بين الشرق والغرب.

إن المحاولة النهضوية ليست الوحيدة التي حاول بها العرب التعرف على الغرب أو الحوار معه. لقد سبق ذلك ـ كما قلنا ـ أن العرب لعبوا دور الوسيط وأعطوا الحضارة الأوروبية، وإحدى هذه الحالات كانت حالة عرب إسبانيا الذين استفادوا من انفتاحهم وأضافوا له. يقدم خوان فري في كتابه «ما تدين به الثقافة لعرب اسبانيا» على جميع الأصعدة: من الفلسفة إلى الطب والآداب والفنون والعلوم ومن الجيولوجيا إلى علم الفلك إلى الموسيقى والأزياء والعمارة. ويتوقف الكتاب عند حركة الترجمة ويفرد حيزاً هاماً للأدب. فقد تم نقل التراث العربي الأندلسي بوساطة اللاتينية والرومانية مما غير وجه أوروبا.

وقد تعرض خوان فري لكتب مثل: طوق الحمامة ـ كليلة ودمنة ـ ألف ليلة وليلة والأغاني ورسائل اخوان الصفا. وناقش قضية تأثر شعراء التروبادور وأطروحة آسنين بلاثيوس حول دانتي وأبي العلاء. وقال ان المنافذ التي تسربت منها الثقافة الاندلسية لم تكن ترتكز على النصوص المكتوبة بل أيضاً على النقل الشفهي حيث أن بعض الكتاب الإسبان أنفسهم كان يتكلم العربية.

لقد انفتح العرب على كل الشعوب منذ القدم وإذا كانت العلاقات الثقافية العربية ـ الفارسية معروفة فان الاتصال التاريخي بين العرب والصين يعود إلى فترة ما قبل الإسلام، حتى أن هادي العلوي يشبه ويقارن في محاضرة له بين بعض الشعراء الصينيين والشعراء العرب المسلمين. ويشبه الشاعر الصيني القديم ـ دوفو ـ بالشاعر دعبل الخزاعي. ويقول إن هناك 150 مفردة عربية تستخدمها قومية ـ خوي ـ المسلمة الصينية، رغم صعوبة التفاعل بين اللغتين العربية والصينية.

إلا أن هذه الحالات الايجابية من التثاقف، لم تكسر المفهوم الأوروبي للمثاقفة ولم تغير من نمطية التفكير العربي تجاه أوروبا. يصف أحد الباحثين العلاقة بين العرب وأوروبا بأنها «جدلية الجذب والتنافر واستهواء الضد لنقيضه ورغبته في الاستحواذ عليه والصراع معه وأحياناً تدميره».

ويقول في وصف ندوة الحوار العربي الأوروبي في هامبورج ـ 1983:

1 ـ المشاركون العرب: من موظفي الجامعة العربية الرسميين الذين وجدوا في الندوة فرصة سانحة لسفرة أوروبية مدفوعة التكاليف، التي فهمت أنها موفدة للدفاع عن سياسات حكوماتها الرسمية، لا المشاركة في حوار فكري وثقافي.

2 ـ الشاذلي القليبي: دفاع بنغمة اعتذارية واضحة عن صورة العربي، مناشداً أوروبا أن تتخلى عن الصورة الشائهة التي كونتها للشرق باعتباره غامضاً باطنياً.

3 ـ كلمة وزير خارجية ألمانيا الغربية: تشعر ببعض القلق لما يتخللها من مشاعر الاستعلاء الخفية



Digitized by Birzeit University Library

ومن نزعات السيطرة ومن هواجس البحث عن دور أوروبي متميز في المنطقة العربية.

4 - البساندرو بوساني (ايطالي): ١ - الثقافة والحضارة العربية والاسلامية أصبحت جزءاً لا يتجزأ من ثقافة الحضارة الغربية وقيمها - 2 - الحضارة الأوروبية هي الحضارة النموذج اليوم:

وهكذا يبقى العقل الاستشراقي حالة مستمرة وليس حالة تاريخية عابرة رغم تغير ظروف التجربة الاحتكاكية بين الشرق والغرب.

**أولاً:** ما زال العقل الاستشراقي استعلائياً.

**ثانياً:** ما زال يرتبط بفكرة تتبع الشرق وابقائه في فلك أوروبا.

**ثالثاً:** هناك حالات قليلة جداً تتميز بالموضوعية والتثاقف الجدلي.

ومع هذا يصرّ الباحثون العرب على رفض دراسة «المثاقفة» كفرع من فروع «نظرية المقارنة» ويفضلون الدخول إلى مقارنة النصوص الأدبية مباشرة معتمدين على رؤية النموذج في أوروبا وأمريكا دائماً. بل يبرر بعضهم ذلك بمبررات مثالية كالقول برفض ارتباط الأدب بالإيديولوجيا. والسؤال هو ألا تؤثر الإيديولوجيا على الكتابة وعلى مصائر النص. فإذا أخذنا تعريف غرامشي للإيديولوجيا فهي «تصور للعالم يتجلى ضمنياً في الفن والقانون والنشاط الاقتصادي وفي جميع تظاهرات الحياة الفردية والجماعية». ولأن الإيديولوجيا تصور للعالم فإنها تنزع من حيث هي تعبيرات عن طبقة اجتماعية إلى الظهور والتجلي في جميع مظاهر وأنماط سلوك هذه الطبقة والتجسد في فلسفة واخلاقية اعتقادية ايمانية وحس مشترك وفولكلور، هو ما يشكل حقل الإيديولوجيا. فكيف يكون أي نص بعيداً عن الإيديولوجيا. وكيف يمكن أن نستقبل النصوص الاستشراقية على أنها مجرد مجموعة من النصوص الأدبية والثقافية؟!

كيف يمكن أن نقول أنه لا علاقة للأدب بالأرقام الإحصائية التالية:

«في سنة 1914 كانت أوروبا ومستعمراتها تغطي مساحة 85٪ من الكرة الأرضية.

وكانت بريطانيا تملك 23.85 ٪ من مساحة الكوكب الأرضي».

كيف يمكن أن نفهم أن تقسيم أوروبا للكرة الأرضية سنة 1881 في غرينتش بانجلترا - على أنه واقعة جغرافية فقط.

لقد بدأ القرن العشرون في نهاية القرن التاسع عشر. وفي بدايات القرن العشرين بدأت «النيورومانتيكية». وبدأت التحديثية خطوتها الأولى بالطليعية والمستقبلية والعدمية مرتكزة على مفهوم التأسيس والانقطاع عن الماضي. ثم كانت رواية «عوليس» لجيمس جويس كنموذج للتركيب التحديثي وكانت السريالية فناً مؤسطراً. لقد سمّى لينين الفترة التي سبقت ذلك أي الفترة الانتقالية في نهاية التاسع عشر وبداية القرن العشرين، سمّاها «العشية» أو «التوطئة»، وهي فعلاً على مستوى الأدب كذلك فهي حالة انتقال واعداد: الناتورالية - الرمزية - الانطباعية النيورومانتيكية - الإيماجية - التعبيرية - واقعية نهاية التاسع عشر... إلخ. لكن القرن العشرين الذي هو زمن الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطني وعصر التحويل الديمقراطي للمجتمع حيث أصبح التاريخ تاريخ الجماهير، هو قرن التحديثية في المجال الأدبي. لقد بدأت التحديثية منذ استبدل الكون الذي فقد «الإله» إلى «الانا» التي تحاول معرفة جوهر العالم. لقد اتجهت التحديثية إلى الأسطورة. وهذا



Digitized by Birzeit University Library

ما جعلها عاجزة عن الاستيعاب الموضوعي لجوهر القرن العشرين. فالوعي والأسلوب في التحديثية فالوعي والأسلوب في التحديثية هما ناتورالبان ومبثولوجيان في نفس الوقت. وقد التزمت التحديثية بالواقع (بما في ذلك واقع الحركات السياسية في القرن العشرين) واغتربت عنه في نفس الوقت. وتميزت التحديثية بالانطلاق من الشكل كمركز وكهدف. وهكذا خلقت إشكالية القرن العشرين التي يعبر عنها رومان رولان «يكون الإنسان والفن أو يموتان». وهناك رغبة تحديثية في إنقاذ الإنسان من عالم البراغماتية ولكن انطلاقاً من مبدأ «الحرية المطلقة». وهكذا ظهر الفن المصاب بالاغتراب الذي اتجه نحو التهريجية حسب صورة هاينريش بول في (نظرات مهرج). ثم كانت الوجودية والبنيوية وغيرها.

فما هو موقف الشرق؟. لقد نقل الشرق هذه النماذج الأوروبية نقلاً حرفياً ليس عبر الترجمة، بل عبر محاولة قسرية لزرعها في التربة الشرقية فجاءت الأشجار صفراء، لا هي بالشرقية ولا بالغربية لقد استقبلت الوجودية كبديل للماركسية واستقبلت البنيوية كبديل للمنهج الجدلي، ولم نحاول حتى إعادة انتاج النموذج الأوربي رغم أنه «لا يمكن لأي دولة اعادة انتاج النموذج الأورو - أمريكي دون تبعية كلية أو جزئية» كما يقول الجزائري دحماني محمد. فأمامنا نموذج اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، اليابان الضائع بين خرافة عبادة الامبراطور وبين التحديث وتقليد النموذج الأمريكي. وأمامنا نموذج الصين بعد الثورة الثقافية حيث بدأ النموذج الأمريكي هو المسيطر في الثقافة. ونلاحظ أن المثقفين العرب يسارون باستمرار بين مرجعية ماركسية ومرجعية أوروبية كولونيالية. نلاحظ رسم الرغبة قبل التعامل مع الواقع وما زال الغرب يصف نفسه بأنه يعمل على تحضير «المتوحش» واستبدال هذا المصطلح بالتخلف. وما زال الانبهار بالنموذج الاستهلاكي الأورو - أمريكي التحديثي وأمامنا عشرات الأمثلة منها:

1 - تقوم مراكز الثقافة الأورو - أمريكية في باريس ولندن ونيويورك ومدريد باختيار ممثلي ثقافتنا، وغالباً ما يتم هذا الاختيار بالغاء الجناح الثوري في الثقافة العربية. ويشجع الغرب كل من يقلده، لا كانفتاح إنساني، بل من منظور تبعي.

2 - تشجع المركزية الأورو - أمريكية، تيار الشكل، أو الاتجاه التكنولوجي انطلاقاً من نفي التاريخ وقتل النكهة المحلية.

3 - ولدت في الشرق خرافة التجاوز وحرق المراحل دفعة واحدة من أجل اللحاق بالغرب.

4 - يقوم الغرب بتنمية المشاعر الفولكلورية الشرقية وذلك باعادة تصنيعها وتصديرها، حيث يصبح الموروث «مودة» (أصولية حداثوية).

5 - صدّر الغرب لنا فكرة «الحرية المطلقة» فنفاجأ بكتاب عرب يريدون تدمير البنية السائدة التجريدية ويهربون من ذكر مثال واحد من واقعهم.

6 - تقوم أوروبا وأمريكا بتحويل نماذجها الثقافية [المدرسة - التعليم - البرامج] إلى الشرق. ولكن مع تحديد حدوث الفائدة المتوقعة بحيث لا يتطور الوعي الوطني إلى درجة تصبح فيها الايديولوجيا الأورو - أمريكية في خطر. وبحيث تستفيد الطبقة المتنفذة وحدها. وتقوم بتقديم نموذج ثقافي يخدم النمط الاستهلاكي. أي تثبيت التخلف الذي يعرفه - دحماني محمد بأنه «سياق من التغريب الذاتي الذي يتبنى نظرة الغير».



Digitized by Birzeit University Library

7 ـ التيار الديني السلفي الذي كان في أوائل السبعينات يرفض تصديق حقيقة الوصول إلى القمر ويصفها بالخرافة والإلحاد، ببحث هذه الأيام عن نصوص دينية تؤكد صحة وجود إمكانات الوصول إلى القمر وباقي الحقائق العلمية.

8 ـ المثقفون العرب المؤهلون بالأدوات والمناهج الأورو ـ أمريكية منبهرون وعاجزون وتابعون. والمثقفون العرب المتعصبون ضد الغرب عاجزون عن مواجهة الغرب مواجهة انفتاحية ندّية، لأنهم يفتقدون للأدوات والمناهج.

9 ـ رئيس دولة عربي يتلذذ بتبعيته ويبكي على مصير اللغة الفرنسية التي بدأت تتقهقر أمام الانجليزية كما قال. (فيغري ـ ١٩٨٦).

في كتاب «أصوات متعددة.. وعالم واحد» الذي أصدرته اليونسكو نجد أن تعريف الثقافة هو «مجموع إنجازات الابداع الانساني، بل كل ما أضافه الإنسان إلى الطبيعة». وينتقد هذا الكتاب النمط الثقافي الاستهلاكي بقوله:

«الكثير من التسلية الثقافية مبتذل ونمطي بدرجة تجعله يحدّ من الخيال بدلاً من أن يثيره». ويقول الكتاب:

«هناك خطر آخر هو السيطرة الثقافية التي تتخذ شكل الاعتماد على نماذج مستوردة تعكس قيماً وأساليب حياة غريبة وتتعرض الذاتية الثقافية للخطر من جرّاء التأثير الطاغي للأمم القوية على بعض الثقافات القومية واستيعابها رغم أن الأمم صاحبة هذه الثقافات الأخيرة هي ورثة ثقافات أقدم عهداً وأكثر ثراء. وحيث أن التنوع والتباين هما من أهم خصائص الثقافة وأقيمها فإن العالم بأسره هو الخاسر من جراء هذا». وحول مشكلة اللغات في العالم يقول الكتاب:

«إن عدد اللغات التي تستخدم في الاتصال الشفوي كبير يصل إلى ـ 3500 لغة. ونجد أن عدد اللغات المكتوبة ـ 500 لغة فقط. وهناك ـ 1250 لغة تستخدم في الحديث في القارة الافريقية وفي أوروبا ـ 28 لغة رئيسية. وعلى الرغم من أن المنطقة العربية تستخدم من حيث المبدأ لغة واحدة، فإن اللهجات العامية تختلف اختلافاً شديداً عن العربية الفصحى مع وجود لغة بربرية في المغرب العربي. وفي أمريكا اللاتينية لغتان رئيستان: الاسبانية والبرتغالية ولكن توجد مئات من لغات ولهجات المنود. ويوجد في الاتحاد السوفياتي ـ 89 لغة. وتعترف الهند بـ ـ 15 لغة للاستخدام الرسمي والتعليمي فقط، بينما يوجد بها أكثر من ـ 1650 لغة ولهجة». ويصف كتاب اليونسكو الإشكالية اللغوية على النحو التالي:

«لقد أمّن الاستعمار لعدد قليل من اللغات الأوروبية فرص الانتشار عبر الكرة الأرضية. وما زالت اتجاهات تذويب وابتلاع الثقافات الصغيرة مستمرة حتى اليوم. وتعدد اللغات يمثل عوائق واضحة للاتصال وقد يعرقل التطور العلمي والتكنولوجي كما أن استخدام عدد محدود من اللغات على النطاق العالمي يؤدي إلى التحيز ضد اللغات الأخرى وإلى تمييز لغات معينة على حساب لغات أخرى. إن 60٪ من الاتصال العلمي يتم باللغة الانجليزية. وحتى في الدول الناطقة بالفرنسية يستخدم 70٪ من الباحثين المراجع الانجليزية في أبحاثهم».

ويؤيد الكتاب ـ في بحثه عن حلول ـ المبدأ الأساسي أي «النظر إلى جميع اللغات على أنها متساوية

Digitized by Birzeit University Library

في المنزلة وأنها أدوات اتصال». ويضرب الكتاب مثلاً وهو أنه «تم بالنسبة للغة العربية تطوير نظام يطلق عليه CODAR - ASV لتوحيد الرموز واختزال عدد أشكال الحروف بما يسمح باستخدام الحروف العربية في الآلات الكاتبة وآلات الطباعة ومعالجة المعلومات والاتصالات السلكية واللاسلكية.

ويتطرق الكتاب إلى الوضعية الثقافية في العالم فمثلاً في مجال السينما «يصل مجموع انتاج العالم اليوم من الأفلام الروائية - 3000 فيلم في السنة. وفي عام 1977 تصدرت الهند انتاج العالم - 557 فيلماً - تليها اليابان - 337 فيلماً، ثم فرنسا 222 فيلماً ثم إيطاليا - 165 فيلماً. وقد ازداد عدد دور السينما وقاعات العرض في الاتحاد السوفياتي - 50 ٪ بصفة منتظمة خلال السنوات العشر الماضية وزاد عدد المشاهدين بنسبة - 30 ٪». ولاحظ الكتاب أن موسيقى البوب - Pop أعادت الاعتبار للأسطوانة والكاسيت حيث يباع بليوني أسطوانة أو شريط في كل عام، تستوعب أوروبا وأمريكا - 85 ٪ منها.

ويصل الكتاب إلى جوهر اشكالية «المثاقفة الحداثوية»: «أن يغترب الناس بدرجة أكبر في مجتمعهم الذي يعيشون فيه نتيجة لتوغل وسائل الإعلام في حياتهم: فإما أن يتقوقعوا أو يستجيبوا في انفعال وتهور.. غافلين عن الأسباب الحقيقية لمشكلات المجتمع ومصادر غضبهم وإحباطهم». ويواصل الكتاب وصفه للإشكالية بالقول «إن بلداناً كثيرة في العالم المتقدم لديها حساسية تجاه الخطر المحتمل للتأثير الخارجي وليس هذا القلق مقتصراً على الدول النامية». وتكون النتيجة فرض نمط واحد (غزو ثقافي): «فالأذواق الاجتماعية والثقافية للبلدان الأجنبية تنتشر على نطاق واسع وتغدو مألوفة وتحظى باعجاب الكثيرين ويقلدها الناس وقد تتخذ كمعايير للسلوك البشري، في البلدان التي تتعرض لها». أما الغزو الحضاري فهو «فرض رأي عالمي واحد على رأي آخر وينطوي على تفوق الغازي والشعور بالنقص من جانب ضحايا الغزو. وتفرض على هؤلاء قيم معينة من جانب الغازي الذي يمتلكهم ويشعر بالخوف من فقدهم». ويتم الرد على ذلك - كما يقول الكتاب - «بتشجيع الثقافة الوطنية في طقس من الحرية». «فالاتصال المتدفق من طرف واحد يسفر في كثير من الأحيان عن تلقين سياسي ونزعة استهلاكية وانماط مفروضة من السلوك الاجتماعي».

إن خطر «الحداثوية التكنولوجية». لا يقابله إلا خطر دعوات التقوقع والعودة إلى السلف والدعوات الشوفينية التي تنطلق تحت ستار حماية الذاتية الثقافية. فعلى الرغم من أن الحداثة ساهمت في تقريب وجهات النظر في العالم، إلا أن الحداثة الشكلية الاستهلاكية تقتل التنوع والغنى الثقافي ففي العالم «يوجد ضيقو أفق معاصرون يقترحون باسم الحداثة - كما يقول البلغاري ايفريم كارانفيلوف - «ألا تحمل شوارعنا أسماء شخصياتنا التاريخية وأن تستبدل بأرقام. فيكون ذلك أنسب وأكثر معاصرة وحتى في بعض قرانا كقرية فيتوشا الجميلة تحمل الشوارع أرقاماً فعلاً. إن الرقم غير مرتبط بشيء لأنه تجريد». وفي الولايات المتحدة الأمريكية يقول الباحث الأمريكي ريتشارد رايت - توجد «مافيا لتكوين الآراء». تشرف على نسبة 95 ٪ من الاعلام. إن الدقيقة الواحدة من الإعلان في التلفزيون الأمريكي تساوي 75 ألف دولار. وكمية الإعلانات التي يتم عرضها على صفحات المطبوعات أو في أي برنامج، تتبع تماماً البنوك والشركات فإذا ما وافقت المواقف الايديولوجية والسياسية للصحيفة هوى الرأسماليين فان في استطاعتهم أن يجعلوها تزدهر وإذا لم توافق هواهم فان باستطاعتهم خنقها».

وهكذا تبقى المثاقفة من وجهة نظر «عالمية التحديث» مثاقفة تحمل في داخلها مخاطر التغريب



Digitized by Birzeit University Library

وفرض النمط الواحد والرأي الواحد. ويبقى النص الأدبي والنقد الأدبي والمقارنة وغيرها بعيدة عن أي شرط مثالي لانفتاح مثالي خيالي، لأن البنى الايديولوجية المسيطرة هي التي تفرض وجهة نظرها النقدية الواحدة بقوتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. وليس النص الأدبي بعيداً عن هذا التغريب، مثلما أن سيطرة لغة ما تؤثر إلى حد كبير على انتشار أدبها وجعله هو النموذج. فالفرانكوفونية على سبيل المثال ليست حالة تاريخية فقط وليست حالة لغوية فقط وليست حالة أدبية فقط، هي كل ذلك، إضافة لكونها احتلالية ومستمرة، رغم ما قدمته. ولم تكن القابلية لدى الطرف الآخر قابلية حرّة، بل هي نتاج عملية إخضاع. يقول محمد عابد الجابري «الحقيقة التاريخية في المغرب، الحديث، هي محصلة الصراع بين ثلاثة أطراف: المخزن - الرعية - الأجنبي. و«الآخر» بالنسبة لكل طرف من هذه الأطراف الثلاثة هما الطرفان الآخران». ومما يؤكد حالة الاستمرارية للفرانكوفونية هو أنه خلال ربع القرن الأخير استطاعت اللغة العربية «أن تفرض حضورها في العالم كله. فكيف عجزت عن فرض هذا الحضور على بضعة عشر مثقفاً من المغرب أو الجزائر أو تونس ظلوا يصرون على التخاطب بالفرنسية»، كما يتساءل المحرر الثقافي لإحدى المجلات العربية الصادرة في باريس.

أو كما يتساءل محرر آخر عن وضعية موقف الآخر (الفرنسي) فيقول:

«يكفي الإطلاع على بريد القراء في مجلات كبيرة مثل نوفيل اوبسرفاتور خاصة، حتى نتحسس ونتلمس مدى الحقد المتزايد ضد كل ما هو عربي وإسلامي، حقد يجرد العرب من كل قيمة ثقافية وانسانية».

لقد توصلنا إلى أن الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية يمثل حالتين: حالة الاندماج وحالة التضاد. وما زال التلذذ باللغة الفرنسية قائماً لدى بعض الكتاب تحت حجج كثيرة: التاريخي منها مقبول والمستمر منها تبريري براغماتي في الغالب. وليست الكتابة بالفرنسية والانجليزية هي المشكلة، لكن المشكلة هي التلذذ بالتبعية واستفادة الأدب المغربي (الجزائر، تونس، المغرب) من التقاليد الفنية للأدب الفرنسي أمر طبيعي، كذلك الاستفادة من التقاليد الديمقراطية الفرنسية أمر مشروع، لكن الإصرار على تبرير التلذذ بالتبعية والشكوى منها في ذات الوقت هو المرفوض.

ومن جهة أخرى يمكننا أن نتبنى التقسيم التالي للأدب المغربي المكتوب بالفرنسية:

1 - المرحلة الأولى يمكن اعتبارها إثنوغرافية مثل: سبحة العنبر - 1949 للمغربي أحمد الصفريوي.. وابن الفقير - 1950 لمولود فرعون. والدار الكبيرة لمحمد ديب وهذه الأعمال تجسد الواقع التقليدي.

2 - مرحلة الحديث عن بطولات المحاربين: الشقاء في خطر - 1956 لمالك حداد وصبحية شعبي لجان سيناك. والجزائر عاصمتها الجزائر - 1963 لأنا غريكي وفي الرواية: الأفيون والعصا - 1965 وسبات العادل لمولود معمري ومن يتذكر البحر - 1962 لمحمد ديب.

3 - تيار يرتبط بتحليل الصراعات الداخلية التي يثيرها البحث عن هوية ومن أجل تخطي التفرقة الناتجة عن الاحتكاك بأوروبا الاستعمارية: نجمة - 1956 لكاتب ياسين - الماضي البسيط - 1954 لإدريس شرايبي - تمثال الملح - 1966 لالبير ميمي.



Digitized by Birzeit University Library

4 ـ تيار التردد والتساؤل عن مستقبل الجزائر المترددة بين الإغراء المسموم للغرب وبين مأثورات الشرق العربي المسلم: الله في مملكة البرابرة ـ 1970 لمحمد ديب ورقصة الملك ـ 1972 لمحمد ديب أيضاً.

هذا هو الوضع التاريخي، فإذا تقول الثمانينات؟!

انعقدت القمة الفرانكوفونية في باريس ـ شباط 1986، لدراسة وضع اللغة الفرنسية في العالم، وشاركت فيها دول عربية. ولغة الأرقام تقول: وصلت اللغة الفرنسية إلى حوالي ـ 380 مليون نسمة أي ما يعادل 08٪ من سكان الكرة الأرضية. وفي سنة 1980 وعلى صفحات ـ 900 مجلة في العالم، ظهرت 12٪ من مقالاتها بالفرنسية وفي سنة 1984 هبطت النسبة إلى 7٪. وتقول الأرقام أيضاً إن مكانة الفرنسية هي الثالثة بعد الولايات المتحدة واليابان وإن ـ 39 دولة تنطق بالفرنسية (كلياً أو جزئياً) وأنه يوجد في العالم ـ 3500 تعاونية مع ـ ١٦٠ مؤسسة ومركز ثقافي و ٤٥٢ محطة لتعليم الفرنسية. وتشير مجلة ـ لوبوان الفرنسية إلى الجزائريين المرتابين من الاستعمار الجديد الذين «رفضوا الاشتراك في وكالة التعاون الثقافي والتقني لأنهم لا يعتبرون الفرانكوفونية ملكاً لأحد ولا عاصمة لها رغم أن مقر الوكالة في باريس ولغتها لا تمثل إلا إدادة تواصل فقط».

ومن جهة أخرى يقال إن جبران خليل جبران هو الأكثر توزيعاً حتى في ترجمته الفرنسية قياساً على الكتاب العرب بالفرنسية. فجبران هو «أول كاتب عربي يقدم في هذا القرن على الكتابة الأدبية بلغة أجنبية ـ الانجليزية. وكتاب «النبي» يحتل المرتبة الثالثة في المبيعات في الولايات المتحدة منذ عشرات السنين وقد بيعت منه حتى الآن أكثر من مليون ونصف المليون نسخة في أمريكا وحدها. ولكن نفس الكتاب هو الأكثر مبيعاً في فرنسا بين الكتب العربية المترجمة للفرنسية أو التي وضعها كتاب عرب فرانكوفونيون بالفرنسية مباشرة حيث شارفت مبيعات هذا الكتاب على نصف مليون نسخة». وفي عام ١٩٨٥ صدرت ـ ٢٠٤ روايات في فرنسا من بينها عشر روايات لكتاب عرب. ويتصدر الجزائري محمد ديب قائمة هؤلاء الأدباء بمبيعاته القوية في فرنسا وخارجها. ويلاحظ أيضاً نهاية أدب الحرب وبداية «أدب المهاجرين». كما يلاحظ أن الروايات العربية المترجمة إلى الفرنسية تعرف نجاحاً أقل على مستوى الانتشار من الروايات المكتوبة بالفرنسية لأدباء عرب. ويقول صاحب إحدى المكتبات الكبرى في الحي اللاتيني:

«كل كتاب مطبوع يباع في نهاية الأمر في هذا الشهر أو في السنة القادمة، وهناك في فرنسا مؤسسة طباعية تقوم بشراء الكتب التي لا تباع بالكيلو ثم لا «تلبث أن تعرضها للبيع بأسعار رخيصة جداً في عدد من المكتبات».

وفي دراسة إحصائية لبرنامج المؤتمر الحادي عشر للرابطة الدولية الذي انعقد في باريس ـ أغسطس، ١٩٨٥، نقرأ الاحصاءات التالية:

١ ـ عدد المحاضرين حسب اللغات المستعملة:

الفرنسية ـ ٢٨٦ ـ الانجليزية ـ ٢٤٠، الاسبانية ـ ٥

٢ ـ الترتيب العددي لمشاركة الدول (المراتب الأربعة الأولى):

اليوم الأول: فرنسا ـ أمريكا ـ كندا ـ ألمانيا الديمقراطية.



Digitized by Birzeit University Library

اليوم الثاني: فرنسا ـ أمريكا ـ هنغاريا ـ تشيكوسلوفاكيا.
اليوم الثالث: فرنسا ـ أمريكا ـ يوغوسلافيا ـ هنغاريا.
اليوم الرابع: أمريكا ـ فرنسا ـ «اسرائيل» وكندا ـ دول أخرى.

٣ ـ الترتيب العددي لرؤساء الجلسات:

١ ـ فرنسا ـ أمريكا ـ هنغاريا وألمانيا الاتحادية ـ دول أخرى.
٢ ـ فرنسا ـ أمريكا ـ النمسا ـ دول أخرى.
٣ ـ فرنسا ـ أمريكا ـ بريطانيا ـ ألمانيا الديمقراطية وألمانيا الاتحادية وايطاليا وبولونيا.
٤ ـ فرنسا ـ أمريكا ـ كندا ـ يوغوسلافيا وبولونيا.
٥ ـ فرنسا ـ أمريكا ـ بلجيكا ـ يوغوسلافيا ـ دول أخرى.

٤ ـ شاركت البلدان العربية التالية: مصر ـ الجزائر ـ فلسطين ـ لبنان ـ العراق ـ سوريا.

* * *

في سنة ١٧٨٥ ظهر كتاب في علم الجمال هو كتاب «الفنون الجميلة وقد ردت إلى أصل واحد» للراهب باتو. فالمحاكاة هي محاكاة الطبيعة الجميلة. وفي سنة ١٧٨٥ ظهر عنوان آخر كصدى للأول: محاولة لضم الفنون الجميلة والعلوم تحت مفهوم الاكتفاء الذاتي لكارل موريتز يرمي فيه من جديد إلى ضم الفنون الجميلة. حول مفهوم الجمال كاكتفاء ذاتي «إن الجمال الحق كلّ مكتف بذاته». والأدب على حد قول ـ نوفاليس «تعبير من أجل التعبير».

لقد نشأ الأدب المقارن بين أثرين: ١ ـ الأثر الإيديولوجي: عالمية القرن الثامن عشر التي تبلورت مع فكر فلسفة التنوير ٢ ـ الأثر العالي: المناخ الذي ساد فرنسا في الربع الأول من القرن التاسع عشر حيث كانت مناهج العلوم هي النموذج بالنسبة للأدب.

وقد دعا جان جاك أمبير إلى «أدب مقارن لجميع القصائد»: «حيث ستخرج فلسفة الآداب والفنون عن الفلسفة والتاريخ لتكون وظيفتها دراسة طبيعة الجمال». ولهذا ظل الأدب المقارن يتأرجح بين محاولة تقليد دقة العلوم وبين الايديولوجيا وتحولاتها المتنوعة والمتصارعة وبين اعتبار الأدب الأوروبي هو النموذج وهو الذي يجمع «سلسلة الروائع» وحده. الضراع كان آنذاك بين مركزية فرنسية ومركزية أوروبية عامة. ولم تكن «أدب» قد اتضحت، «إن كلمة أدب بمعناها الحالي كلمة حديثة العهد ولا تتجاوز بداياتها التحديدية القرن التاسع عشر» كما يقول تس ـ تودوروف ويتساءل: «من يجرؤ بعد على التمييز النهائي بين ما هو أدب وما ليس كذلك، أمام تنوع الكتابات التي نميل إلى أن ننسبها إليه وفق منظورات شديدة التباين؟!!». لقد قال الهنغاري ـ توكي ـ Tökei إن «حدود العالم قد اتسعت لتشمل الشعوب كلها والآداب جميعها وإن على المثقف المعاصر أن يعي هذه الحقيقة كما ينبغي ألا يقلص الأدب أو مفهومه في الأعمال التي تسمى الروائع».

كما يرى ـ اتيامبل أن الفكرة الجوهرية للأدب المقارن «هي» اكتشاف الثوابت التي تجمع بين آداب العالم أجمع والفرق بينها وبين المتغيرات التي تخص كل أدب من الآداب». بينما نرى رؤية جرامشي للثقافة تربط قضية التأثر بوجود ثقافة مهيمنة ـ أي أقوى ـ لطبقة أو مجموعة أو بلد، تؤثر في ثقافة



Digitized by Birzeit University Library

أضعف منها، ويرد جرامشي سبب هذه الهيمنة إلى ظروف البنية التحتية في حين يرى - ميشيل فوكو مسألة تحليل «القول» أو «الخطاب» حيث يرى أن وراء القول المكتوب والمقروء - بنية إيديولوجية تحكم النص، بحيث تتيح لنا معرفة هذه البنية الباطنية وتحليلها معرفة حقيقة النص الظاهر. أما دراسات مدرسة «اكس» في انجلترا لما تسميه - ثقافة التقاطع Cross Culture التي أخذت «القول الاستعماري» عن الآخر من ناحية.. وآداب العالم الثالث من الناحية الأخرى بوصفه موضوعاً من موضوعات الدراسة. في حين نجد «الايديولوجية البنائية» تسود أوروبا وأمريكا حيث اكتشفوا أن للنص الأدبي بنية ايديولوجية لا يمكن فصلها عن المجتمع والمؤلف. وبوري لوتمان السوفياتي يرى أن مادة النص الأدبي - أي اللغة - ليست مادة بلا حياة، أي أن لهذه المادة تاريخاً ودلالات. فالأدب مرتبط بالمجتمع ارتباطاً عضوياً. في حين ترى السيموطيقا - كريستينا ولوتمان - أن النص علامة أو دلالة لما حوله من أشياء أخرى طبيعية أو اجتماعية أو فكرية.

إنّ «الإحساس بالعالم» أصبح حقيقة واقعية منذ مطلع القرن العشرين، لكن هذا الإدراك ظل يدور حول ذاته، حتى بدأت مرحلة «رؤية العالم»، حينئذٍ تدفق سيل الاجتهاد، رينيه ويلك يقترح مذهب المنظور الذي «يقرُّ بوجود شعر واحد، أدب واحد، قابل للمقارنة في كل العصور، متقدم، متغير، ملي، بالامكانات. فليس الأدب نسقاً مطرداً من أعمال فريدة لا يوجد بينها شيء مشترك ولا سلسلة من أعمال تحيطها دورتا الزمان الكلاسيكية والرومانسية». كما أن عالمنا ليس هذا «العالم المغلق» على التماثل وعدم التعدد حسب ما وضعت مثاله الكلاسيكية الأولى: فالإطلاقية والنسبية زائفتان، كما يقول.

ويطرح - تودوروف «مفهوم الخطاب» المتعدد كمنظمة أجناس. وأجناس الخطاب تعتمد على المادة اللغوية وعلى الايديولوجيا السائدة في المجتمع.

في حين نجد أن - لوسيان غولدمان يطرح مفهوم «رؤية العالم» على النحو التالي:

١ - إن رؤية العالم هو نظام التفكير الذي يفرض نفسه في ظروف معينة على مجموعة من الناس الموجودين في ظروف اقتصادية واجتماعية متماثلة أي على بعض الطبقات الاجتماعية. فالأدب والفلسفة هما في مستويات مختلفة «تعبيران عن رؤية العالم». وأن الرؤى للعالم ليست وقائع فردية ولكن وقائع اجتماعية. فمفهوم الرؤية للعالم يحيل إلى حقيقة اجتماعية وتاريخية ترتبط بظاهرة الوعي الجمعي» ويرى غولدمان ان الرؤية للعالم «هي وجهة نظر متماسكة وموحدة حول مجموع الوقائع. إنه نادراً ما يكون فكر الأفراد متماسكاً وموحداً».

٢ - الفنان يحدد عمله برؤيته للعالم: وسيكون فنه ارستقراطياً برجوازياً أو بروليتارياً بمقدار ما تكون هذه الرؤية ارستقراطية برجوازية أو بروليتارية. وذلك يقصي كل نية مقصودة للتعليم أو الدعاوة. يقول لوكاتش «لا يمكن أن تطرح المشاكل على الأشياء بل على العلاقات فيما بينها فقط».

٣ - يميز - غولدمان - بين مجموعات مثل: العائلة، المجموعات المهنية، الثقافية.. الخ، فهي سلوكات جماعة موجهة نحو بلورة بعض المواقف داخل بنية اجتماعية معينة. ويسمي غولدمان الوعي الجماعي الذي يطابقها وعياً إيديولوجيا - أما المجموعات الاجتماعية المتميزة حيث يكون الوعي والشعور والتصرف موجهاً نحو إعادة تنظيم كلي وشامل لكل العلاقات الإنسانية والعلاقات بين



Digitized by Birzeit University Library

الانسان والطبيعة أو موجهاً نحو المحافظة الشاملة على البنية الاجتماعية القائمة. وهذه الرؤية الكلية للعلاقات الانسانية وعلاقات الناس مع الكون - يجعلنا نميزها عن نمط الوعي الجمعي (الايديولوجي) ويجعلنا نسميها « الرؤية للعالم ».

٤ - يربط غولدمان بين الرؤية للعالم وبين البنيات المقولية (بنيات غير واعية) باعتبارها البنية الذهنية التي ينطلق منها ذلك السلوك وذاك الفكر. لأنه البنيات المقولية التي تتحكم في الوعي الجمعي والمنقولة إلى الكون الخيالي الذي يبدعه الفنان ليست واعية ولا غير واعية ومعنى هذا أن الرؤية للعالم جزء أساسي من الممارسة الانسانية. لأن من خصائص التصرفات الانسانية: الطابع الدينامي والميل نحو تعديل وتحويل البنية التي ينتمي إليها وتطويرها..

٥ - يقول غولدمان: « كل رؤية للعالم لها طابع وظيفي بالنسبة لبعض المجموعات الاجتماعية المتميزة والتي تقدم ذاتها كوسيلة لمساعدة هذه الجماعات على الحياة والسيطرة على المشاكل التي تطرحها عليهم علاقاتهم بالجماعة الاجتماعية الأخرى وعلاقتهم بالطبيعة ».

٦ - يقدم غولدمان - نمذجة أولية لرؤى العالم:

رؤية فردية (عقلانية أو تجريبية) رؤية مأساوية رؤية جدلية.

* * *

إذن نحن أمام نموذجين: الأول تحديثي والثاني: سلفي. وفي النهاية يلتقي التحديثي مع السلفي في الوظيفة من حيث نفي الذات. إنهما يختلفان في طرق وأساليب تأويل العالم فقط لكنهما يخدمان هدفاً واحداً، هو - تكريس سلطة الدولة التابعة لمراكز القوى الرأسمالية العالمية. فالسلفي يرفض التعرف على الآخر أو حتى الاعتراف بوجوده كواقع موضوعي ينبغي مواجهته بأسلحة قوية. والسلفي يصرّ على تأطير الماضي كنموذج ثابت ويرفعه إلى مرتبة القداسة التي لا تمس. وهو أيضاً يرى في هذه الأصولية السلفية الماضوية نموذجاً يحتذى في كل زمان ومكان لمواجهة التبعية. وبهذا يساهم السلفي في التقوقع حول الذات الماضوية المغلقة وهي في ذات الوقت تعتمد أحد عناصر الوعي الغرائزي مستغلة الأمية الطافحة في العالم العربي لتكريس العناصر الميتافيزيقية في الفكر باعتبارها غير قابلة للمناقشة. وهي مع ذلك تلتقط قشور الشكل التحديثي إذا كان غير مناقض للدين. فإذا كان الحاكم المحلي دكتاتوراً وكان شعبه مقهوراً وجائعاً في ظل حكمه ولكنه أعلن شعار « الايمان »، فإن الوعي السلفي يقف معه مباشرة حتى لو زوّر هذا الايمان. ويحضرنا هنا مثال أنور السادات الذي استطاع أن يجعل الأزهر (الذي كان ذات يوم مركزاً من مراكز المقاومة) - أن يجعله مجرد شاهد زور، بل أن يصبح الأزهر شريكاً في تزوير الايمان. حين خلع الأزهر الآية « .. وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » من مكانها الصحيح لتطابق معاهدة كامب ديفيد. ويرى التيار السلفي التبعي ان العالم ينقسم إلى معسكرين: معسكر الايمان بقيادة رونالد ريغان ومعسكر الإلحاد بقيادة الاتحاد السوفياتي. لقد قال ريغان مخاطباً حسني مبارك: « علينا نحن المؤمنين أن نتوحد في مواجهة الإلحاد »، وفي أوائل شهر تموز - ١٩٨٦ تناقلت وكالات الأنباء أخباراً عن مشاحنات وصراعات بين الإخوان المسلمين من جهة وفصائل الثورة الفلسطينية من جهة أخرى في قطاع غزة المحتل، مما اضطر منظمة التحرير الفلسطينية أن تصدر بياناً تقول فيه: « إن منظمة

Digitized by Birzeit University Library

التحرير تؤكد على مرتكزات الوحدة الوطنية الفلسطينية التي هي من أوليات النضال ضد المحتلين الصهاينة الذين يدعو جوهر عقيدتنا الإسلامية إلى مقاومتهم أولاً وقبل كل شيء. وضرورة أن تتحول المنابر في مساجدنا إلى الدعوة الدائمة لحشد الصفوف وتوحيد الجهود لمقاومة احتلالهم مؤكدين أن كل اجتهاد يسبق هذا الواجب الوطني إنما هو افتراء على الحق وتجديف في الباطل» هكذا تدين م.ت.ن جوهر الممارسة السلفية وتكاد تقول بأنها تابعة للاحتلال. وهكذا فإن القراءة السلفية تنطلق من «قراءة المستقبل بواسطة الماضي بعد إعلانه» كما يقول فؤاد مرسي. بل إن هذه القراءة السلفية تلتقي مع الإيمان الامبريالي وبالتالي مع التبعية. وقد انعكس هذا الفهم على النص الأدبي والثقافي. إذ كيف نعزل السياسي عن الثقافي، ما دام هذا السياسي هو جوهر ذلك الثقافي. أما التيار التحديثي فهو ترجمة حرفية للنموذج الأورو - أمريكي مع إضفاء صفة «الحداثة والجدة!» عليه. فالتيار التقني يرى أن المسألة هي مسألة شكل. ولهذا فهو يلجأ إلى التجريد هرباً من أمثلة الواقع. ولكي لا يتناقض مع سلطة الدولة التابعة التي ينتمي لها يقيم صلة مع هذه السلطة بالتبرير لها، تبرير التبعية بوسائل جديدة جداً ولكنها وسائل تكريس التبعية، لأن التيار التقني لا ينتجها بل هو أحد عبيدها. ومن هنا كان البحث لديه عن بنيات مطلقة مثالية تحكم رؤية العالم من أجل توحيد نظرة العالم قسراً. فهو لا يفرق بين أدب عالمي رأسمالي وأدب عالمي ثوري، بل يعتمد ذلك حتى لا يدفع الثمن أمام دولته التابعة.

صدر مؤخراً الكتاب الثاني من سلسلة «قضايا فكرية» **باشراف محمود أمين العالم**، بعنوان «مصر بين التبعية.. والخيار الاشتراكي». وقد يقول - أساتذة الجامعات المخزنين - ما علاقة مفهوم التبعية بالأدب والأدب المقارن؟ وهم عادة ما يلجأون إلى نفي علاقة الايديولوجيا بالأدب ويعتبرونها تهمة تسيء لمفهوم الأدب ومفهوم النص. ولو دققنا جيداً لوجدنا أن هؤلاء ينفون صلة الايديولوجيا بشكل عام والسياسة بشكل خاص من مملكة النص الأدبي إذا كانت هذه الايديولوجيا مناقضة لايديولوجيتهم، بينما هم في الواقع يمارسون ايديولوجيا أخرى في علاقتها بالنص، إنها «إيديولوجيا التبعية». فحين يتعاملون مع النصوص الأورو - أمريكية على أنها روائع أدبية عالمية، وحين يرفضون التعامل مع نصوص أدبية قادمة من البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفياتي وافريقيا على أنها روائع من نمط آخر، فهم مع ايديولوجيا التبعية وضد ايديولوجيا الاشتراكية. فكيف يزعمون أنهم ضد الايديولوجيا بشكل مطلق؟

وهم حين يتبنون - الرؤية التقنية للنص، أي الاتجاه الشكلي لتوحيد العالم، وهو اتجاه «الاضطهاد الأخوي العالمي» وفي نفس الوقت اتجاه «الأخوة القسرية الجمالية» فإنهم ينفون التناقض، ونفي التناقض هو أحد أشكال التبعية الايديولوجية والسياسية في الأدب. وهي تبدأ قبل الأدب في الفكر والسياسة. وهم حين يدخلون في مقارنات مباشرة بين النصوص مع إلغاء ايديولوجية وتاريخ هذه النصوص، فهم يهدفون إلى القفز على البنية الحاكمة الأساسية في النص. وقد يقال إن الكلام عن الايديولوجيا يتم من خارج النص. ونحن نقول: لنفترض مثلاً صحة هذا الرأي، ولكن تعالوا نقرأ ايديولوجيا النص من داخله، دون أي تقويل خارجي. إن أي نص في العالم ليس بريئاً من وهمية خارج الصراع.



Digitized by Birzeit University Library

يطرح كتاب «قضايا فكرية» مجموعة من الأفكار حول التبعية نختار منها ما يلي: يناقش ابراهيم العيسوي «معنى التبعية» فيقول: إن التبعية ليست اتهاماً وإنما هي تعبير عن ظرف موضوعي نعيش في ظله معظم دول العالم الثالث. ويرى أن آليات التأثير والإخضاع قد تطورت وأصبحت تأخذ أشكالاً خفية وصوراً غير مباشرة منها: الحرص على أن كل شيء يتم بين الدولة المهيمنة والدولة التابعة إنما يتم من خلال الحوار الحر والمفاوضات المباشرة والمصلحة المشتركة بين البلدين، وبطبيعة الحال فإن الواقع يناقض هذه المجاملات الشكلية. ويرى الكاتب أن الأثر الخارجي لا يحدث مفعوله إلا إذا توافر الوسط المحلي المناسب وهو البنية الاجتماعية المتضمنة عناصر مستعدة للتجاوب والتفاهم والتعاون مع الطرف الاجنبي. وتؤدي أوضاع التبعية - كما يشير العيسوي - إلى «تعطيل الإرادة الوطنية للدولة التابعة وفقدانها السيطرة على شروط إعادة تكوين ذاتها أو تجددها».

ويرى أن التبعية تحمل معنى «اللحاق بالغير والاعتماد على الغير» وأن التبعية هي جوهر التخلف وأن التنمية هي نقيض التخلف وأن التبعية علاقة استغلالية تشوه الثقافة الوطنية وتحط من شأن التراث الحضاري. فالاعتماد المتبادل بين دول العالم - كما يقول الكاتب - حقيقة واقعة في العالم المعاصر فالخروج من التبعية لا يعني التقوقع والانعزال عن العالم والاكتفاء الذاتي. والبديل عن التبعية هو التنمية المعتمدة على الذات. فالدول التابعة ليست فقيرة الموارد، لكن المشكلة تكمن في النهب الرأسمالي لهذه الموارد وإعادة تصديرها للسوق التابع، فيحدث الاضطهاد مرتين. بل وأكثر. ويرى الكاتب في النهاية أن هناك جدلية للتبعية أي ظهور قوى محلية مضادة.

وينطلق **مصطفى كامل السيد** في تحليل التبعية من منطلق مماثل: «فالمؤكد لدى العرب جميعاً هو العلاقة الوثيقة الاستراتيجية بين الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية ومع ذلك نجد أن هذه الولايات المتحدة هي «الصديق!!» لأغلبية الأنظمة القائمة في العالم العربي بل إن النظم الموصوفة بالراديكالية ما زالت تمد معها الجسور عبر قنوات متعددة». ويقدم الكاتب أمثلة من الحياة اليومية حول مظاهر التبعية ومنها ظهور محلات تجارية مثل «سلام شوبنج سنتر لملابس المحجبات». إن هذا المثال الذي يذكره الكاتب يصلح أن يكون مجالاً لدراسة واسعة فهو يشتمل على أكثر العناصر تبعية من العنوان فقط، ويؤكد ما نكرره دائماً من أن السلفي والحداثوي يلتقيان، كما يؤكد لقاء السلفي مع الإمبريالي. في تطبيق التبعية، كما يؤكد على تزوير مفاهيم إنسانية مثل «السلام». بل يؤكد على أزمة السلفي الذي يرفض التعرف على الآخر ويتعصب ضده - ولكنه في الممارسة يرضى بالتبعية ما دامت تحقق له الحداثة والايمان «سنتر أزياء المحجبات».

ويؤكد الكاتب أن «التبعية - ظاهرة تاريخية بدأت منذ انطلقت الرأسمالية الغربية منذ أربعة قرون لإخضاع أقسام العائلة الانسانية الأخرى لحاجاتها». ويقول: إن الكتابات الأولى في إطار مدرسة التبعية كانت على يد فريق من علماء الاقتصاد والاجتماع في أمريكا اللاتينية وكانت تعبيراً عن إخفاق تجربة التطور الرأسمالي في مجتمعات أمريكا اللاتينية. وإن راؤول بريبيش هو أول من أطلق تعابير: المراكز - Centers والأطراف أو التخوم - Peripherg، وأن مصطلح - التبادل اللامتكافىء Unegual exchange طرحه الفرنسي - اريجي أمانيويل. ثم يعرض الكاتب لآراء اندريه جوندر فرانك - أشهر منظري التبعية الذي نشر أفكار مدرسة التبعية في الولايات المتحدة ويقول إن فرانك قد وصف «بعض

Digitized by Birzeit University Library

مجتمعات العالم الثالث مثل البرازيل والسعودية، بأنها «تحتل مكاناً وسطاً - intermediate position - بين المجتمعات الطرفية ومجتمعات المراكز بل وإنها تقوم بدور شبه امبريالي - Sub - imperialism - في الأقاليم المحيطة بها.

ويرى فرانك أن التنمية في ظل التبعية إنما هي تنمية للتخلف - ويرى فرانك أن الحل الوحيد للمجتمعات الطرفية «يتم عن طريق العمل الواعي الذي يؤدي إلى تنمية مستقلة ذاتياً لا تتحقق إلا بقطع الصلات مع المراكز الرأسمالية».

ويرى جوهان جالتج (نرويجي) أن الاستعمار البنيوي(*) «ناتج عن وجود رأس جسر لمجتمعات المراكز في المجتمعات الطرفية ويتمثل رأس الجسر هذا في النخبة الحاكمة في المجتمعات الطرفية». ويقول الكاتب إن بعض الكتاب السوفييت يميلون إلى نقد التبعية على اعتبار أنها ترى «التناقض الأساسي في العالم هو بين دول صناعية (رأسمالية - اشتراكية) ودول منتجة ومصدرة للمواد الخام. ويرون في الانقسام الأساسي في العالم هو «بين المعسكر الاشتراكي وحركة التحرر الوطني من جهة والمعسكر الاستعماري من جهة أخرى». أما سمير أمين فيقول «إن نقد النظرة التي تؤمن بالمصير المتجانس الناتج عن التوسع الرأسمالي يبدأ بملاحظة أن التوسع المذكور لم يحقق - بعد أربعة قرون - هذا التجانس المنتظر، بل ليس التجانس في جدول أعمال المستقبل المنظور. فالقول بأن الميل إلى التجانس هو انعكاس للقوة الرئيسة. بينما عدم التجانس هو أمر انتقالي فقط، إن هذا القول - يقول سمير أمين - فارغ من أي مضمون، إذ أن الصفة الانتقالية هنا ظهرت بظهور الرأسمالية واستمرت حتى الآن». وبصلح قول سمير أمين لتطبيقه تماماً في مجال الثقافة، فهل - رغم مصطلحات «الثقافة العالمية» و «الأدب العالمي» و «عالمية الأدب» وغيرها - هل تجانس الأدب في العالم. وهل أصبحت هناك نظرة موحدة حتى لوظيفة الأدب. بل هل المحاولة التقنية البنيوية الأورو - أمريكية لتوحيد وجهة النظر الجماعية العالمية قابلة للتحقيق ما دام النموذج الأورو - أمريكي هو النموذج والمثال!!!

ورغم محاولات مثقفي البلدان النامية للتعرف على هذا النموذج، فما هي المحاولة المقابلة من قبل الغرب الرأسمالي للتعرف على آداب العالم الثالث، إن محاولة التعرف الوحيد هي محاولة التعرف على أدب وثقافة النخب الحاكمة في الدول التابعة والترويج لها على أنها تمثل آداب الشعوب الأخرى.

ومن جهة أخرى يعرف سمير أمين مفهوم «الأطراف» بالقول إن الأطراف معروفة بالنفي: «هي المناطق التي اندمجت في النظام العالمي دون أن تتبلور إلى مراكز فهي إذن تلك المناطق التي تتحكم القوى الخارجية في تحديد مدى واتجاه التراكم المحلي فيها».

ويرى أن عوامل الهزيمة في العالم العربي هي: أولاً: الحدود التاريخية لمشروع التحرير الوطني. ثانياً: مصالح القوى الرجعية الحاكمة في الخليج. ثالثاً: عداوة الغرب المستمرة واستخدامه لقاعدته العسكرية «اسرائيل». وتبع ذلك - إحلال إيديولوجيا سلفية ماضوية محل الايديولوجيا القومية الشعبية. وهذه الإيديولوجيا السلفية (الطائفية - التعصب الديني - فلسفة اليأس) جزء من الأزمة. ويرى سمير أمين أن الخيار هو بين «فك الإرتباط وبين «التكيف». والتكيف ليس ممكناً لأنه انتحار ولا يرى بديلاً

(*) لا يعني عرضنا لهذه الآراء موافقتنا عليها. ومن هنا فان كاتب المقال يطمح إلى أن يكتب دراسة مستقلة عن «المثاقفة والتبعية» من وجهة نظر الماركسية اللبنينية.



Digitized by Birzeit University Library

لمواجهة التحديات إلا من خلال « فك الارتباط ». ويرى أن المشكلة المركزية هي مشكلة الديمقراطية ويقول « ولا نعني هنا مشكلة الحقوق الأساسية بل نعني التعبير المستقل للقوى الشعبية الذي هو ضمان القدرة على مواجهة الخارج. فلا مفر من اتخاذ طريق فك الارتباط - كما يقول - وفتح باب مرحلة الانتقال الصعب والمتناقض نحو الاشتراكية ».

أما - **فيصل درّاج** - في دراسته « وضع الثقافة في شروط التبعية » فهي تمس موضوع التبعية الثقافية مباشرة، حيث يرى منذ البدء أن الصراع هو بين ثقافة تابعة وثقافة وطنية وأن الصراع لا يدور بين شرق وغرب أو خارج وداخل.

ويرى أن ربط سؤال الثقافة بوضع الدولة يلغي جملة من المفاهيم الزائفة: ثنائية المثقف والسلطة - شعار السلطة الثقافية - وهم المعرفة الشكلية المتعالية عن المجتمع وحاشيتها المعروفة باسم: المثقف التقني أو خبير المعرفة. ويتحدد وضع الثقافة - كما يقول درّاج - في الصراع السياسي بين القوى الوطنية والقوى التابعة. وهذا الصراع هو الذي يسقط وهم « قوة الأفكار !! » وشعار الحياد الثقافي المزعوم.

ويصف مفهوم « الثقافة العالمية » بأنه « قناع إيديولوجي للنهب الاستعماري ودوره في حقل الفكر هو تهيئة الشروط من أجل إنتاج وإعادة انتاج العلاقات الرأسمالية على المستوى العالمي بإلغاء مفهوم التنوع الثقافي أي - بالغاء الشخصية الوطنية الثقافية لكل المجتمعات المناهضة للنموذج الرأسمالي ».

ويرى أن شعار « العالمية » الذي كان أداة الامبريالية الايديولوجية في مراحلها الأولى: قد انتقل الآن في مرحلة الاستعمار الجديد إلى شعار « الحداثة ».

ثم يتطرق لنموذج « **المثقف التقني** » - **البنيوي فيقول:**

ظهر المثقف التقني في الحقل الثقافي العربي منذ أواخر الستينات. ووجد « المثقف الجديد !! أنه لا يلتقي بالسلطات القائمة استناداً إلى توافق سياسي أو ايديولوجي، بل يلتقي بها. عبر باب جديد هو: الاختصاص الذي يفضي إلى ايديولوجيا التكنيك والتحديث ». فالمثقف التقني يرجم الايديولوجيا بحجارة العلم ويربأ عن السياسة باسم موضوعية مفترضة لا تتعايش مع السياسة. ولهذا يرى أن التحرر من الأشكالية الايديولوجية - السياسية، يتم بالتحرر من الزمن الاجتماعي وبالانغلاق في زمن مستقل عن المجتمع هو زمن العلم أو الحداثة أو الإبداع. إن إتكاء المثقف البنيوي - يواصل دراج - على المقولات المجردة مثل: النص - البنية - الأنساق - التناظر - (اللغة)، هو الذي يجعله يعزل زمن الكتابة عن الزمن الاجتماعي ويقوده هذا إلى تصنيم عملية الكتابة فتبدو كما لو كانت عملية كونية ذات قوانين كونية تتجاوز حدود الزمان والمكان. وتتساوى لديه الثقافة الامبريالية العالمية مع الثقافة الثورية العالمية حين يلغي الصراع. إن المثقف التقني. وكما يقول فيصل دراج - « يقدم خطابه كما لو كان خطاباً تنويرياً جديداً بالغ التجديد فهو يستبدل زمن الايديولوجيا بزمن العلم وزمن الاتباع بزمن الحداثة وزمن التأويل بزمن التحليل ». ويصل فيصل درّاج إلى نتيجة مفادها أن المثقف التقني - البنيوي - « يعزل المعرفة عن أسئلة الحياة والثقافة عن الجماهير ويلتقي مع الدولة التابعة ». ثم يطرح الحل - درّاج - « بأن نهوض الثقافة الوطنية لا يتحقق إلا في حقل الفعل السياسي باعادة اكتشاف حدود الهوية الوطنية في لحظة الصراع ضد التبعية وإعادة بناء المعرفة الجماهيرية بتفكيك وتركيب الثقافة الشعبية ».

★ ★ ★



Digitized by Birzeit University Library

وهكذا نصل إلى خلاصة حول مفهوم «الإحساس بالعالم» ومفهوم «التلذذ بالتبعية»:

**أولاً**: ما زال مفهوم «المثاقفة» مفهوماً أورو - أمريكيا، يعمل لصالح طرف واحد هو المركزية الأورو - أمريكية الأدبية والفكرية وهو مفهوم يتمحور حول مفاهيم فرعية أخرى تدور حول مقولات: «تحضير المتوحش» - «نهب الأرض المتخلفة» - «مؤاخاة المتخلف عبر تدجينه واستغلال بما يكرس تبعيته الدائمة لمراكز الأدب العالمي الرأسمالي» - «تغيير شكل التثاقف معه بافهامه عناصر تبرير تبعيته بنفي التبعية شكلاً واعطائها شكل الحوار الحر بين طرفين». كل هذا مع بقاء المراكز صاحبة القرار وبقاء التخوم المنفية تخوماً تابعة ومجرد تخوم خادمة.

**ثانياً**: ظهرت أصوات أوروبية قليلة تطالب نظرياً فقط الأنفتاح على الثقافات الأخرى من وجهة نظر تجميل مفهوم العالمية ولكن مع حصر هذه الثقافات الأخرى في مجال موحد (الشرقية - السلافية - الأفريقية - الصينية) بحيث تبقى صفة «الأخرى» لاصقة بها أي بقائها مجرد «آداب ذيلية».

**ثالثاً**: هناك نمو واضح لعالمية القرن العشرين بسبب تحسن وسائل الاتصال الحديثة، لكن هذه «العالمية الحداثوية» أعطت امتيازات جديدة لتكريس التبعية، لأن آداب الأطراف لا تستفيد من هذا التحسن، بل إن هذا التطور التكنولوجي يساهم في سيطرة مفاهيم «اللغات والآداب الحية» بمركزة الفوائد الحداثوية في آداب هذه اللغات مع استمرار اعتبار الآداب الأخرى «هامشية وفولكلورية» تصلح لدراسات الاختصاص.

**رابعاً**: لعبت النخب الحاكمة في العالم العربي التي تمارس التبعية في خلق المثقف التكنولوجي البنيوي الحداثي التجريدي الحديث جداً، باعتباره يكرس مفهوم التبعية من حيث تقليده للنموذج الذي تصدره مراكز القلب الرأسمالي، وباعتبار التجريد الفني لا يتناقض مع ثقافة السلطة بل يزينها ويجملها بالحداثة ويعطيها شكلاً مقبولاً من خلال القفز والالتقاط للشكل. وليست المصيبة في واقع التبعية، بل إن المصيبة تكمن في التلذذ بالتبعية والدفاع عنها وتبريرها. فإذا كان الفكر السلفي قد ساهم في توقيع اتفاقيات كامب ديفيد فإن الفكر الحداثوي هو الذي دشّن لقاء «إيفران». مما يؤكد مقولتنا المستمرة أن الحداثوي والسلفي يلتقيان حول هدف واحد في النهاية رغم تناقض الأساليب.

**خامساً**: في ظل واقع التبعية والتلذذ بها، لاحظنا انكفاء الأدب على ذاته بل انكساره (يمكننا مقارنة الأدب المصري في عهد عبد الناصر بالأدب المصري في عهد السادات وفي ظل حسني مبارك). وقد كانت مظاهر التبعية الثقافية الجديدة في العالم العربي قد بدأت منذ هزيمة ١٩٦٧، حين بدأت القوى الثقافية المحلية التابعة تلتقط فتات النظريات التوحيدية الاجبارية الرأسمالية لوجهة نظر العالم من خلال نظريات البنى والأنساق الحاكمة المطلقة الموحدة لأدب العالم. ومن خلال تكريس التوحيد الأورو - أمريكي الاجباري من خلال التجانس القسري الجمالي الشكلي ضمن نظرية واحدة للشعر والأدب في العالم هي «النظرية الأورو - أمريكية الأدبية» أو «نظرية الرأسمالية الأدبية». ونلاحظ تصاعد التبعية الثقافية والأدبية عادة في ظل الهزائم العسكرية والسياسية. كما نلاحظ تعدد أشكال تبرير التبعية والتلذذ بها.. مع استمرار المراكز الرأسمالية في إنتاج أشكال التبرير الثقافي بما يقنع التابع أنه ليس تابعاً مثل مقولة «النص المغلق المطلق».



Digitized by Birzeit University Library

سادساً: إن مواجهة التبعية تتم بإعادة إنتاج الثقافة الشعبية الديمقراطية والاعتماد على الذات ومعرفة حدود الهوية الوطنية. إضافة لاختيار النموذج الثقافي الديمقراطي في العالم والتحالف معه. وهذا يتم بمواجهة إغراءات الثقافة التابعة المحلية ورفض جماليات الاستهلاك الخادعة.

سابعاً: هناك مفهومان لنظرية «المثاقفة» لا ثالث لهما هما: المثاقفة الطوعية والمثاقفة الإجبارية. والسائد هو المفهوم الأورو - أمريكي أي «التثقيف الإجباري والتزام النموذج الأوروبي». أما نظرية «التبعية» فلها ثلاث حالات: حالة تاريخية استعمارية - حالة استعمارية جديدة وحديثة متطورة الشكل - حالة تلذذية يفرح فيها التابع بعبوديته. وأرى أن المثقف العربي التابع أقرب إلى الحالة الثالثة.

ثامناً: إن الدراسات الجامعية العربية في الأدب المقارن تنهرب عادة من دراسة فرعي: «التبعية» و «المثاقفة» كمقدمات أساسية لأي بحث مقارن. وعادة ما تهرب هذه الدراسات إلى مقولات «عالمية الأدب» و «الأدب العالمي» و «الثقافة العالمية» بمفهومها الامبريالي وفي إطار العبودية للمركزية الأورو - أمريكية الإنسانوية

## مراجع


١ - اليونسكو، «أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع: اليوم وغداً» - منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ١٩٨١.

٢ - أنور عبد الملك: تغيير العالم - منشورات عالم المعرفة - الكويت - ١٩٨٥.

٣ - لوسيان غولدمان: المادية الديالكتيكية وتاريخ الأدب والفلسفة - ترجمة نادر ذكرى دار الحداثة، بيروت، ١٩٨١.

٤ - رينيه ويلك وأوستن وارين: نظرية الأدب - ترجمة محي الدين صبحي. منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

٥ - إدوارد سعيد: الاستشراق: المعرفة - السلطة - الإنشاء - ترجمة كمال أبو ديب منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١.

★ - كذلك أنظر: نقد / صادق جلال العظم ومهدي عامل لكتاب «الاستشراق».

٦ - محمد عابد الجابري: تطور الانتلجنسيا في المغرب العربي - لمجموعة من الباحثين باشراف عبد القادر جغلول - منشورات دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٤.

٧ - دحاني محمد تغريب العالم الثالث: الخرافات والحقائق - ترجمة دمري أحمد - منشورات ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، ١٩٨٥.

٨ - عمار بلحسن: الأدب والايديولوجيا - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ١٩٨٤.

٩ - عبد الكريم طبيش: المؤتمر الحادي عشر للرابطة الدولية للأدب المقارن - دراسة احصائية - بحث قدم لجامعة قسنطينة - باشراف: عز الدين المناصرة.

١٠ - أمينة رشيد: وضع الأدب المقارن في الدراسات المعاصرة - مجلة فصول - القاهرة - م - ٣ - ع - ٣ - ابريل - مايو، يونيه، ١٩٨٣.




Digitized by Birzeit University Library

١١ ـ الطائع الحدّاوي: مفهوم رؤية العالم عند لوسيان غولدمان ـ مجلة دراسات عربية، عدد ـ ١٢ بيروت، ١٩٨٥.

١٢ ـ شربل داغر: جبران يهزم الكتاب العرب بالفرنسية ـ مجلة «كل العرب» ـ باريس، أكتوبر، ١٩٨٥.

١٣ ـ تس ـ تودوروف: مفهوم الأدب ـ ترجمة عبد السلام بن عبد العالي ـ دراسات عربية عدد ـ ٣، بيروت، ١٩٨٥.

١٤ ـ اليوم السابع (مجلة)، كلمة المحرر الثقافي ـ ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٨٦، باريس.

١٥ ـ إيفريم كارانفيلوف: الجذور والعجلات وضيق الأفق المعاصر ـ ترجمة ميخائيل عيد مجلة «الهدف» الفلسطينية ـ ٢٢ ـ ١٠ ـ ١٩٨٤.

١٦ ـ عبد القادر ياسين حسين: المافيا الأمريكية تصنع الآراء ـ مجلة «فلسطين الثورة» ـ ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٨٦، قبرص.

١٧ ـ ليونيد أندريف: أدب أوروبا الغربية ـ القرن العشرون ـ ترجمة «مجلة الحرية» الفلسطينية ـ ١٨ ـ ٨ ـ ١٩٨٥.

١٨ ـ صبري حافظ: ندوة الحوار العربي ـ الأوروبي ـ مجلة «فصول» ـ القاهرة ـ م ـ ٣.ع ـ ٣ ـ ١٩٨٣.

١٩ ـ هادي العلوي: الحضارة الصينية وتفاعلها مع الحضارة العربية ـ تلخيص فايز العراقي مجلة «الحرية» ـ ١ ـ ١٢ ـ ١٩٨٥..

٢٠ ـ خوان فري: «ما تدين به الثقافة لعرب اسبانيا» ـ عرض عيسى مخلوف ـ «اليوم السابع» ـ ٧ ـ ٤ ـ ١٩٨٦.

٢١ ـ صحيفة «النصر»: أدب المغرب العربي المكتوب بالفرنسية ـ قسنطينة، الجزائر ـ ٨ ـ ١ ـ ١٩٨٦

٢٢ ـ نزيهة زاوي درار: الفرنسيون قلقون على لغتهم ـ صحيفة «أضواء» الجزائرية ـ ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٨٦.

٢٣ ـ محمود أمين العالم (إشراف): قضايا فكرية ـ الكتاب الثاني «مصر بين التبعية والاختيار الاشتراكي» أنظر مقالات (سمير أمين ـ فؤاد مرسي ـ فيصل درّاج ابراهيم العيسوي ـ مصطفى كامل السيد ـ افتتاحية محمود أمين العالم ـ مداخلات فريدة النقاش في ندوة المائدة المستديرة حول التبعية) ـ منشورات دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ـ يناير، ١٩٨٦.

٢٤ ـ عز الدين المناصرة: في نظرية المثاقفة، الفرانكوفونية ـ التنجلز ـ التأمرك ـ مجلة «الحرية» ملف خاص ـ ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٨٦.

**عن مجلة النهج**

**العدد ١٧ / ١٩٨٧**



Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة:

# يـــوم!

سامي الكيلاني
- سجن جنيد

حين يتذكر المرء اخوانه الذين اخذوا منه على حين غرة ، يستعيد حزنا قويا وكأن الميت ما زال مسجى في وسط البيت ، على الرغم من ان زحمة الحياة تكون قد عالجت الحزن بتفاصيلها وتنوعات همومها وافراحها المتلاحقة . وما الذي يعيد ذلك الى ذاكرته غير كلمة او موقف يقفز امامك فجأة وسط الانسياب اليومي الرتيب للحياة..

فكرت نعيمة الحسن بذلك وغلى الحقد في صدرها على الجوع والفقر والديون والبطالة التي يغرق فيها زوجها ابو خالد ، ابراهيم عباس فيجعله ذلك عكر المزاج يبحث عن أية مشكلة ليفجرها عند دخوله البيت ليغادره في الحال ، حتى لا يسمع الشكوى او يراها في عيون اطفاله ولو لم يقلها احد منهم مراعاة لحال ابيهم وتنفيذا لنصائح امهم . غلى الحقد في صدرها وتكثف لعنة على الصدفة التي اعترضت طريقها هذا اليوم لتودي بفرحها ، تماما كاللغم الذي اعترض طريق فاطمة الصالح وهي تلقط الزعتر فاودى برجلها ليصبح اسمها فاطمة العرجا . بصقت على الارض وشتمت تلك الوجوه اللئيمة التي خطفتها من لحظة نسيان همومها.

قبل ان ترى هذه الوجوه المكتنزة المليئة بالنعش كان الحال حالا اخر والان لا حال لها سوى انها اصبحت كتلة من الحنق والغضب والحزن ، كانت ناسية همومها ، سعيدة في لحظتها ، بالامس مساء عاد الرجل رائق المزاج على غير عادة ، لم تسأله من اين دبر الدنانير الخمس ، ولم تفتح له محضرا حول مساويء الديون ، ولم تسأله حين دخلت انفها تلك الرائحة ، ان كان قد شرب . قررت ان تساعده بكل ما تملك للمحافظة على هذا المزاج الرائق ، رغم معرفتها ان تحت السطح الهادىء غليانا وتفجرا لا يمكن ان يسمحا له بالهدوء الا لوقت قصير محدود . قضيا ليلتهما وكأن الهم بعيد عنهم وعن بيتهم بعد السماء عن الارض.

عبرت عن غيظها المتصاعد بدفع طشت الغسيل برجلها فانقلب وسالت منه المياه بخط متعرج نحو المصرف في اخر الساحة . عدلت قرمية الخشب التي تجلس عليها لتتيح لظهرها الوصول الى الحائط ، اسندت ظهرها والقت برأسها الى الحائط واغمضت عينيها.

استيقظت نشيطة مبتهجة ، تقدمت من المرآة وتفحصت نفسها . عقدت المنديل على رأسها عقدة ذكرتها بايام الشباب والفرح ، ايام خطبتها ، حين كان ابو خالد - وهكذا كانت تسميه قبل ان يتزوجا وقبل ان يأتي خالد الى هذا العالم - يبرر لها قلة الزيارة بكثرة العمل . وكانت قنوعة بالزيارات القليلة لان كل زيارة تضمن لها هدية معتبرة تتباهى بها امام بنات



Digitized by Birzeit University Library

الحارة ، فتغتر بنفسها وجمالها وحظها . وتتأنق في ملابس الهدايا وتعقد المنديل بهذه الطريقة وشيء في داخلها يدغدغ غرورها ويحسدها على هذا الجمال ، ثم تعاود النظر الى نفسها في المرآة حتى تفاجئها امها بكلمة سليطة تذكرها بان هذا الذي تفعله اسمه "رعونة" ثم تلطف الجو معها بنصائح حول ضرورة "الثقل" وان الفرح لا يدوم والشباب لا يدوم وانها ستصبح عما قريب زوجة واما وستغرق في العمل البيتي وهموم الحياة، نظرت الى نفسها مرة اخرى وتمنت لو تبقى هذا اليوم دون عمل وان تدوم هذه الحالة لساعات اخرى . خرجت الى الساحة الصغيرة وجلست تستقبل شمس الصباح المتسللة من خلف الجبل . الجميع ينام عداها ، الاولاد يهدهم اللعب في بداية العطلة الصيفية فينامون دون ان يتقلبوا في فراشهم ، وابو خالد يغط في نوم عميق ، انعشتها شمس الصباح ، احست بنفسها نبتة يانعة بللها الندى وايقظتها الاشعة الدافئة.

ايقظت الجميع بعد ان شعرت ان نومها قد زاد عن حده ، كان الفطور جاهزا ، ابريق الشاي الكبير وطبق القش يحمل ارغفة الخبز والزيت والزعتر ، لم تلق بالا للزيت العكر الذي يدل على ان تنكة الزيت تقارب على الانتهاء . تناولوا ما وجدوه امامهم بهدوء ، لم يسكب احد من الاطفال نقطة شاي ولم يزعجوها في شيء ، وابو خالد اكل صامتا ولم يتعرض هذا اليوم الذي سيضاف الى ايام البطالة . تفحصت وجهه دون ان تجعله يلحظ ذلك فوجدته هادئا ورائعا ، ثم التقت نظراتهما فجأة . فضحكا. انتهى الفطور وانطلقوا ، ابو خالد الى المقهى ، والاولاد الى اللعب ، رجت الاخوين الكبيرين ان يأخذا اخاهما ابن الخامسة معهما فوافقا دون تذمر.

حتى الامل بشيء جديد ، لم يكن امامها فرصة لانتظاره في هذا اليوم ، الا انها ظلت تشعر بالسعادة . فمنذ اكثر من شهر توقف ابو خالد عن القيام بمشوار البحث عن العمل الذي بدأ يقوم به بعد فصله من العمل . قال له المقاول يومها ان العمل لم يعد كالسابق وان عليه ان يستغني عن بعض عماله ، احتج ابو خالد ، لماذا سيبدأ به وهو الذي يعمل عنده منذ اكثر من خمسة عشر عاما؟ لم يرد المقاول بشيء . ودخل ابو خالد حياة البطالة . جرب حظه في سوق العمال في مدينة الخضيرة ، كان يحمل جزء من عدة الطوبار ليدل اصحاب العمل على مهنته دون ان يعرض نفسه بلغة مستجدية . اصبحت المشاوير عبئا اقتصاديا عليه فتوقف عن القيام بها . كان يركب الباص صباحا ويشتري تذكرة للذهاب والاياب ، يصل الساحة التي يصطف فيها العمال انتظارا لاصحاب العمل ، يتناقص عدد المنتظرين وهو على الرصيف الى جانب قطع عدته ولا احد يتقدم منه ، وحين ينتصف النهار يغادر المكان ويذهب للتسكع في المنتزه البلدي الى حين عودة الباص. يعود كل يوم والفشل والخيبة يملآن وجهه.

عادت للجلوس في شمس الصباح التي اصبحت تغطي الساحة ، تفقدت بفضول نبتات النعناع في الحوض الضيق الذي يعلو السور القصير . احضرت ابريق ماء سكبته على الحوض. فرحت لخضرة النباتات وقطرات المياه التي تعلقت بالاوراق الخضراء ، وتنفست الرائحة التي انبعثت منها بملء رئتيها .

قررت ان تبدأ العمل قبل ان تغادرها حالة الفرح. احضرت الحطب من الحزم الموضوعة خلف السور ، وملأت الموقدة الفخارية بقمف صغيرة وصبت كمية من الكاز واشعلت النار . ملأت السخان التوتياء بالماء ووضعته فوق النار ثم اضافت جذعا صغيرا بين القصف المشتعلة . دخلت وبدأت بتجميع الغسيل المتراكم وعادت به.

قطع عليها انسجامها بالعمل والغناء المنبعث



Digitized by Birzeit University Library

من الراديو والموضوع الى جانبها صوت طرقات على الباب الخارجي . نهضت واتجهت لتفتح الباب ، فتحته فتحة ضيقة تمكنها من رؤية الطارق ، اعادت اغلاق الباب عندما رأت السيارة الواقفة بمحاذاته ، عدلت ملابسها ، وجردت بقايا مياه الغسيل عن يديها وانزلت كمي فستانها واسكتت الراديو وعادت لتفتح الباب وقلبها يدق من الدهشة والتخوف لمرأى السيارة ذات اللوحة الصفراء. خشيت ان يكون السائق الذي لم ينزل من السيارة رجل مخابرات ، لكنها استعاضت بعض الهدوء حين رأت في السيارة امرأة وطفلا ، ضمنت انهما لا بد زوجة الرجل وابنه. انقذتها من حيرتها ابن الحاج خليل الذي وصل الى جانب السيارة حين قال بان هذا اليهودي سأله عن بيت ابراهيم العباسي فدله على البيت ، عندما انهى الوالد حديثه تحدث سائق السيارة:

"شلوم ، مش هذا بيت ابراهيم عباس".

اجابت متلعثمة :"ايوه تفضلوا ، انت الكابلان * اللي كان يشتغل عنده ابراهيم؟".

هز رأسه موافقا ونزل من السيارة ورطن مع زوجته وابنه فنزلا . فتحت الباب فتحة كاملة ، ثم فتحت غرفة الضيوف وارتبكت وهي ترتب الكنبات الحديدية ، ضحكت في وجوههم والقت بعض كلمات المجاملة وهي تشك في ان احدا منهم قد فهمها ، واستأذنت وخرجت . وقفت في الباب تبحث عن اولادها ، كانوا قادمين نحو البيت ، استعجلتهم فركضوا . ناولت الابن الاوسط ورقة خمسة شواقل وطلبت منه ان يذهب " مثل الريح" ويحضر زجاجة كولا كبيرة ، وطلبت من الاكبر أن يذهب ويبحث عن والده في المقهى ويخبره بان المقاول الذي كان يعمل عنده قد حضر يسأل عنه ، وانه ينتظره في البيت ، وادخلت معها الصغير.

امتلأت فرحا ، واقنعت نفسها بان اليوم من اوله يوم خير. عادت الى الغرفة واعتذرت للضيوف عن غيابها ، وبدأت تجاملها وتوجه كلامها الى الزوجة خاصة . ولما لم يستجب احد لمجاملتها ، توجهت الى الرجل تسأله:

" ما علمك ابو خالد تحكي عربي طول مدة الغل؟"

"مين ابو خالد؟"

تفاجأت باجابته "زوجي ، ابراهيم العباسي" واشارت الى الصورة المعلقة على الحائط فوق سجادة عليها صورة الكعبة والمسجد الحرام.

"مش هذا اللي بيشتغل عندي ، اللي بشتغل عندي اسمه ابو حازم"

صفعها الاسم . فهمت تماما ما الذي يدور رغم قوة الصفعة ، انه يريد بيت ابراهيم عباس ، ابن عم زوجها ، ابو حازم ، هو الاخر عامل طوبار ، راودتها نفسها ان تقول له بان زوجها يعمل في الطوبار ايضا وان بامكانه ان يشتغل معه ، لكنها ردعت نفسها عن ذلك .. ابو حازم عاطل عن العمل ايضا ولديه عائلة وهذه رزقته ، وربما يرفض المقاول الفكرة ويعلم ابو حازم بذلك فلا يذوبها الا سواد الوجه امام ام حازم . اوضحت الامر للمقاول. نهض وسألها عن البيت الاخر ، دعته بحنك رخو الى البقاء حتى يشربوا القهوة فلم يقبل الدعوة . خرجت معهم الى الباب الخارجي واشارت الى البيت الاخر في الشارع الموازي لشارعهم . ركبوا سيارتهم ومضوا . وبقيت هي مسمرة حيث كانت .

اقبل ابنها الاوسط يركض وهو يحمل زجاجة الكولا. وصلها وبدأ الاعتذار عن تأخره ويضع اللوم على صاحب الدكان ، قالت وهي تحتضنه بحنان:

"مش مهم ، ادخل استني اخوك واشربوا الكولا سوي. انتو اول فيها".

* كلمة عبرية تعني مقاول.



Digitized by Birzeit University Library

## شعر

# عرس

* ماجد ابو غوش *

لا تأخذي قلبي معك
اتركيه لي
ليدفىء صدري
في ليالي القيد والوحده!

سأفتقد قهوة الصبح
سأفتقد سيجارة الصبح
سأفتقد عند الصبح وجهك !

من حجر بكى
عندما فارقته يداك
تشرق الشمس!

يغطي وجهك شاشة التلفاز
ليتخلل زرقة الموج اسمك
ولعرسك قلبي زينتها
الشوارع !

تهتف باسمك الازقة
يحدث ابناءه عنك
المخيم
ويسبح باسمك الموج !

فاذا مضيت الى العرس
مكللة بالدم والندى
فلا تأخذى قلبي معك !

Digitized by Birzeit University Library

شعر

# ايـن أنتـم ؟

باسم النادي

شاخت الذاكرة
صار شكل رفاقي القدامى
ظلالا عل لوحة من ضباب
وها وجه امي
ينوس بطيئا بطيئا
يغوص ويغرق في لجة دامسة
اين انتم؟
احاول ان اعصر الذاكرة
لا عصارة
يابسة
هل هرمت من الكر والفر
من وجع الشعر والشوق
والغربة العاهرة؟
ذكرياتي القناديل خبت
ومنارات روحي تلاشت
ضباب يهب
يعبيء رأسي
جنود احاطوا خلايا دماغي
والقوا القنابل حتى تدوخ
ضباب يهب
وانتم تمرون
ظل يلاحق ظلا
تعالوا
لكي لا اموت غريبا
تعالوا
هو الموت اجمل حين تجيئون
في اللحظة الحاسمة
انها لحظة خبأ العمر فيها ذخيرته
انها عمرنا...
فتعالوا .. تعالوا
لاغفو وفي الروح طعم لقاء
فيا ايها الاصدقاء
تعالوا
خسرنا كثيرا
خسرنا تخمر ايامنا
وخسرنا العلاقة ثم الصداقة
ماذا ربحنا ؟
عذاب الحنين !
احاول ان اعصر الذاكرة
لا عصارة
خسرنا كثيرا
خسرنا ذخيرة شيخوخة بائسة ..!

تموز ١٩٨٦



Digitized by Birzeit University Library

قصيدة من الشعر المكسيكي المعاصر

# الحنظل في فمك

## * خايمي سابينس *

ترجمة:
الدكتور - محمد عبدالله الجعيدي
(كلية الاداب والفلسفة - جامعة مدرين)

الحنظل في فمك
وآلامك في الجيوب
لا تزال الاظافر مملوءة بتراب
القبور التي تخدشها -
والعيون محاطة وغارقة في الظلام
الذي يحقن في الليل بابر دقيقة لا تحصى
والقلب في دور النقاهة ، رقيق كتفاحة
متسخ وقبيح كمولود
تروح في الشوارع لترى وتتعلم
- وابتسامة تعلو شفتي دمك -
كما لو كنت اول قاطن للعالم
لك الشارع ، يا من بعثت من موتك
لك الاشجار والضباب
والشمس التي تلسع
والمساء الحساس جدا للبرد يطلب سريرا وامرأة
والليل الذي يستقبلك عاشقا بكتاب
لك ايضا فجر الذين يعملون،
وحناجر المصانع التي تفتح بالضجيج،
وساعات المكاتب عسرة الهضم،
وبعر الاسطبلات وحنانها الرطب ،
ومريول المخازن ومشتقة الحرير
وماء المكاتب المحتوي على البورون ،
وخمر القداس اليومي
وحكمة الكناسين الحزينة.
هي لك مدينة الغراميات والجرائم
والهواجس والحماقات المنظمة ،
والحاجات بحثا عن احد ما ،
والعزلة المتهورة ،
لك المكتبات وبيوت الدعارة
ودور الخيالة والمسارح
وملاعب الكرة وحلبات المصارعة وقاعات الرقص
والطريق المرصوف المهجور عند الفجر.
لك هؤلاء الاهل وهذه الاشباح
وهؤلاء المبعوثين من موتهم وهذه الظلال

* ولد JAIME SABINAS في تسيباس (المكسيك) سنة ١٩٢٥ ، من اعماله: "الساعة" ١٩٥٠، "مضايقة" ١٩٥١، "يومي اسبوعي وقصائد نثرية" ١٩٦١، "الطقس الرديء" ١٩٧٥.



Digitized by Birzeit University Library

التي تسير وتأكل وتنسل
وتعاني وتتمتع وتعيش وتمرض وتموت
في كل هذه الاماكن التي تتعرف عليها
لك الايدي المبتورة
كي تقبضها بما تبقى منها
بالايدي التي ستنمو لك الان في هذه اللحظة.
وكي تستسلم
فانهم يعطونك الان كل هذه الاشياء ؛
كي تترك جسدك المنهك
هناك في التراب حيث كنت مكفيا عل وجهك تبكي
كي تنهض وعمرك ثلاثة وثلاثون عاما
وتلعب مع ابنائك وكل اهلك
باسم الاب والروح القدس
وباسم اليتيم والروح الجريح
وباسم مجد لعبة الانسان.

## أيام لا تنسى

## رائعة جمال بنورة الادبية

عن منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، صدرت رواية "ايام لا تنس" للاديب جمال بنورة ، تقع في ٢٨٩ صفحة من الحجم المتوسط.

والرواية تتحدث عن حرب حزيران عام ١٩٦٧ وانعكاساتها على المجتمع الفلسطيني .

وتعتبر هذه الرواية اضافة نوعية للادب الفلسطيني تحت الاحتلال وفي ارض اللجوء.

جدير بالذكر انه صدرت للاديب بنورة عدة مجموعات قصصية قصيرة ومسرحيات ودراسات ادبية متنوعة ، ساعدت في اغناء الحركة الثقافية الفلسطينية.



Digitized by Birzeit University Library

# اصداء ثقافية

## ارق الليله الفاصلة

صدرت عن دار الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع في دمشق الطبعة الثالثة لرواية منيف حوراني "ارق الليله الفاصلة" ، وكانت الطبعة الاولى قد صدرت في القاهرة عن شركة الامل والطبعة الثانية صدرت في تونس عن شركة ديميتر .

وجاء على غلاف الطبعة الثالثة : "المناسبة - حفل وداع لبطل الرواية الفلسطيني الذي ولد في المنفى .

## جديد سميح القاسم

"لا استأذن احدا" عنوان المجموعة الشعرية الجديدة للشاعر سميح القاسم - رئيس اتحاد الكتاب العرب في اسرائيل - والتي صدرت مؤخرا عن دار رياض الريس للكتب والنشر في لندن .

وجاء في كلمة الناشر عن الشاعر :

"يتميز شعره بخاصة الجمع بين عنصرين هما القوة والعذرية في اهاب غنائية عاليه . وتشكل قصائد مجموعته الجديدة ثمره تلاقي هذين العنصرين الشعريين وعناصر اخرى عديدة تتشكل منها خصوصيات شعره .

"ويواصل الشاعر بناء عمارته الشعرية مصرا على امانتين ، امانة الشعر ، وامانة المعنى .

## فقر الفكر وفكر الفقر

عن دار اليسار صدر كتاب بعنوان "فقر الفكر وفكر الفقر" ويتضمن مقالات ودراسات للقاص المصري المعروف الدكتور يوسف ادريس . ويقع الكتاب في ٢٦٤ صفحة من القطع المتوسط يستعرض فيه الكاتب مجموعة من مذكراته وانطباعاته وتصوراته .

## القضية الفلسطينية في ٤٠ عاما

في الفترة الواقعة ما بين ٢٩ ايار و ٢ حزيران شهدت الكويت ندوة فكرية تناولت القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها ، وتحت عنوان "القضية الفلسطينية في ٤٠ عاما ، بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل ؟ .

وقد كانت المحاضرات على النحو التالي :

- مشاكل تعليم الفلسطينيين في الخارج - د. عدنان عبد الرحيم .
- النزوح الصهيوني في عام ٤٨ - ٨٨ - د. محمود عودة .
- دورة الحياة في المشروع الصهيوني - د. سليمان الشيخ .
- اللوبي الصهيوني والسياسة الاميركية تجاه القضية الفلسطينية - د. نصير عاروري .
- القوة العسكرية الصهيونية في عام ٤٨ - ٨٨ - د. طلعت مسلم .
- اتجاهات في الرواية "الاسرائيلية" الحديثة - د. صلاح حزين .
- الحركة الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة - د. خليل نخله .
- انتفاضة ديسمبر ٨٧ وثورة ١٩٣٦ - د. عبد العزيز السيد .
- نظرات مستقبلية على القضية الفلسطينية - د.منذر عنبتاوي
- التسوية السياسية في المسار التاريخي للقضية الفلسطينية - د. فؤاد زكريا .



Digitized by Birzeit University Library

## الشعب المصري يساند الانتفاضة

على مدار تسع ليالي غنى الشيخ امام وعدلي فخري ومحمد منير وفاروق الشرنديي ، اغاني مساندة للانتفاضة ، وانشد الشعراء شعرهم وكان من بينهم سيد حجاب ، سمير عبد الباقي ، وليد منير ، زين العابدين فؤاد ، محسن الخياط ، عبد الرحمن الابنودي . واقامت كذلك الهيئة المصرية العامة للكاتب امسيات شعرية ، وتنادى الفنانون التشكيليون المصريون الى اقامة معرض فني تشكيلي بعنوان "الفن ضد القهر" ، شارك فيه خمسون فنانا مصريا اهدوا لوحاتهم الى شعب الانتفاضة .

محمود ياسين :

## الجائزة الاولى اهديها الى الانتفاضة الفلسطينية

حصل محمود ياسين على جائزة احسن ممثل في مهرجان عنابة السينمائي والذي شاركت فيه دول البحر الابيض المتوسط ، الجائزة تعتبر اول جائزة دولية يحصل عليها محمود ياسين بعد ان حصل على العديد من الجوائز في مصر . وقد اهدى الجائزة وفيلمه "ايام الرعب" عن قصة "جمال الغيطاني" اخراج سعيد مرزوق الى الانتفاضة الفلسطينية .

## جديد غابريل غارسيا ماركيز

"اريد ان اجرب نفسي مع المسرح ، فالمسرح كان يلقى جل اهتمامي باستمرار ، ويوجد في المسرح ما هو جذاب ، ايضا يوجد ما هو خطير . وسوف يأتي ذلك اليوم عندما اكتب مسرحية ، واستطيع من خلالها ان اجلس بين جمهور المشاهدين واروى عن كثب ردة فعلهم ومدى تجاوبهم " . بهذه العبارة اجاب الكاتب الشهير غابريل غارسيا ماركيز قبل اكثر من عام على اسئلة "جرانما" الكوبية . وقد اضحت مقولته بعد عام حقيقة واقعة ،اذ صدرت له مسرحية بعنوان " حديث عن الحب والبادي على وجه رجل جالس" . وتروي "جرانما" الكوبية حكاية هذه المسرحية .

ففي نهاية عام ١٩٨٦ شاهد ماركيز مسرحية بعنوان "الساحرة" والتي لعبت دورها الرئيسي والوحيد الفنانة الارجنتينية غارسيلا ديوفو ، وعندما قرر ماركيز كتابة مسرحية خصيصا لتلعب دورها هذه الفنانة ، ثم وبعد فترة ، اتصل ماركيز بالفنانة في بوينس ايريس ليعلمها عن انتهاء كتابة المسرحية . وقد جاءت مكالمته الهاتفية بعد لحظات من اعلام الفنانة اقاربها واصدقائها المقربين عن نيتها في الاعتزال ، ومع مكالمة ماركيز الهاتفية ،عدلت الفنانة عن فكرتها واسرعت الى كوبا، وبدأت مع ماركيز العمل .

ومن المفترض ان تعرض هذه المسرحية في فترة لا تتعدى صيف هذا العام في العاصمة البرازيلية .

## فلسطينيون ١٩٤٨ - ١٩٨٨

اصدر الاستاذ خالد خليفه مجموعة من الدراسات بعنوان "فلسطينيون ١٩٤٨ - ١٩٨٨" . وتتناول الدراسة موضوعة الجماهير العربية في الداخل من النواحي الاقتصادية ، السياسية ، الطبقية ، الاجتماعية والادبية - الثقافية .

ويقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير



Digitized by Birzeit University Library

# الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاول وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

# الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

## • قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب** .

قيمة اشتراك واحد لمدة ... على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم _____

العنوان _____

المدينة _____

البلد _____

Name _____

Adress _____

City _____

Country _____

**قيمة الاشتراك**

| | سنة الجهير | سنة | سنتين |
|---|---|---|---|
| للافراد | | | |
| الاشتراك المحلي | ١٥ دولار | ٢٥ دولار | ٤٥ دولار |
| اوروبا | ٢٥ دولار | ٤٠ دولار | ٧٠ دولار |
| بلدان اخرى | ٣٠ دولار | ٥٠ دولار | ٩٠ دولار |

للمؤسسات المحلية ٥٠ دولار

الاشتراك السنوي اوروبا ١٠٠ دولار

بلدان اخرى ١٥٠ دولار

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي

AL - KATEB P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

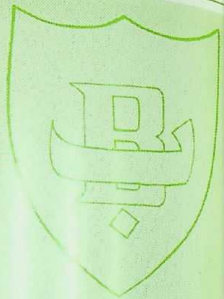

# الأمان الكامل هو شعارنا


الوكالة العربية للتأمين

سعيد برانبي وإخوانه

القدس - ٢٠ شارع صلاح الدين - هاتف رقم : ٠٢/٢٨٥١٤١

ص.ب: ١٩٥٥٠ - القدس ٩١١٩٤

الناصرة - مركز البشارة التجاري - قرب العين - هاتف ٠٦٥ - ٥١٣٧٦/٧



Digitized by Birzeit University Library

الخليل - حارة المشارقة الفوقا - ليلة الاحد ١٨/٣/١٩٨٨
صورة خاصة - تصوير نايف الهشلمون

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

100

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library